مغامرات
أرسين لوبين



القســم الأول

المصباح الفضى

الفصل الأول

جلس شرلوك هولمز والدكتور وطسون أمام الموقد فى مكتب أولهما، ومددا أقدامهما التماسا لدفء النيران المتوهجة فى الموقد .

وكان غليون هولمز قد انطفأ فأفرغ رماده ، وملأه بالتبغ وأشعله، وراح يدخن فى هدوء ويرقب حلقات الدخان المتصاعد الى السقف .. بينما تعلقت عينا وطسون بوجه صديقه..

كان ينظر اليه فى اهتمام وترقب ، كما ينظر الكلب الى سيده بعينين مستديرتين لا يهتز لهما هدب ، فى انتظار أية اشارة أو ايماءة ليسارع الى تلبيتها .

وكان يسأل نفسه . ترى هل سيخرج هولمز عن صمته؟ وهل سيصارحه بما يدور بخلده ؟

وكان هولمز لزم الصمت ، فقال وطسون ليغريه بالكلام :
ـ كل شىء راكد فى هذه الايام ، وليس ثمة أية تضحية تشغلنا .

ولكن هولمز زم شفتيه ولم يتكلم .. كل ماهنالك أن حلقات الدخان ازدادت كثافة ، وتوالت بسرعة ، وخيل لوطسون ان صديقه يجد فى التدخين فى تلك اللحظة متعة لا ينعم بمثلها الا من كان هادىء البال راضيا عن الحياة كل الرضا .

ويئس وطسون من حمل صديقه على الكلام ، فنهض الى النافذة وأطل منها .

كانت السماء ملبدة بالغيوم الداكنة ، والامطار تهطل فى الخارج بشدة ، والشارع مقفر الا من مركبة تترنح فى الطريق تحت وابل الامطار .

— هو ذا موزع البريد .

وفجأة هتف وطسن :

وبعد قليل ، فتح خادم هولمز باب الغرفة ودخل موزع البريد .

قال هذا الاخير :

— يوجد باسمك خطابان مسجلان يا مستر هولمز، فهلا تفضلت بالتوقيع باستلامهما ؟

فوقع هولمز على السجل ، ورافق موزع البريد الى باب الغرفة ، ثم عاد أدراجه وهو يفض أحد الخطابين .. ويقرأ ما جاء به .

قال وطسون بعد لحظة :

— يخيل الى أن هذا الخطاب يحمل اليك نبأ سارا ..

فأجاب هولمز :

— نعم ، ان مضمونه لايخلو من الطرافة .. كنت منذ لحظة تتحدث عن القضايا .. وها هى قضية تسعى اليك .. خذ وأقرأ .

فتناول وطسون الرسالة وقرأ فيها :

سيدى ..

اننى أكتب اليك مستنجدا بمهارتك وخبرتك .. فقد كنت ضحية حادث سطو خطير ذهبت سدى جميع الجهود التى بذلت لاماطة اللثام عن غوامضه .

وقد بعثت اليك اليوم بالبريد ، مجموعة من الصحف التى كتبت عن الحادث ، وسوف تجد فيها مزيدا من التفصيلات .

فاذا وافقت على الاضطلاع بهذه القضية ، فاننى أضع قصرى تحت تصرفك . كما أضع تحت تصرفك (الشيك) المرفق بهذا ، وقد وقعت عليه بامضائى ، ولك أن تكتب فيه رقم المبلغ الذى تريده لنفقات سفرك الى باريس .

وفى انتظار برقية منك بالموافقة أو الرفض ، أرجو التفضل بقبول احترامى وتقديرى .

الامضاء

البارون فكتور دامبلفال

١٨ شارع موريللو

باريس

وما أن فرغ الدكتور وطسون من تلاوة الرسالة حتى هتف هولمز :

— لقد جاءت هذه القضية فى الوقت المناسب فاننى بحاجة الى القيام برحلة قصيرة لشهود باريس ، خاصة وانه لم تتح لى فرصة لزيارة هذه المدينة الجميلة منذ معركتى المشهورة مع أرسين لوبين ..

الحق اننى أرحب بهذه القضية لكى أشهد معالم العاصمة الفرنسية فى ظروف هادئة خالية من متاعب الصراع مع ذلك اللص الخطير .

قال ذلك ومزق (الشيك) ، ثم فض الرسالة الثانية، ولكنه لم يكد يمر ببصره على سطورها ، حتى قطب حاجبيه وأتى بحركة تدل على الضيق والضجر ، ثم جمع الرسالة فى

قبضة يده حتى جعل منها شبه كرة قذف بها على الارض .

فقال وطسون فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟

والتقط الرسالة ، ونشرها بين يديه .. وقرأ فيها وعلامات الدهشة تزداد وضوحا فى وجهه كلما أمعن فى القراءة

أيها الصديق العزيز

لاشك انك تعرف مبلغ اعجابى بك ، ومدى حرصى على سمعتك .. ولذلك انصح لك بعدم الاضطلاع بالقضية التى طلب اليك ان تميط اللثام عن غوامضها ، لان تدخلك سيؤدى الى كثير من الاضرار . و لان جهودك لن تسفر الا عن نتائج تثير الرثاء ، وستضطر آخر الامر الى الاعتراف بفشلك الذريع ..

ولما كنت أشفق عليك من هذا المصير ، وأرغب رغبة مخلصة فى أن أجنبك هذا الهوان ، فقد بادرت بالكتابة اليك ، لكى استحلفك بحق ما بيننا من صداقة .. أن ترفض هذه القضية وتلزم مكانك الهادىء بجوار الموقد ..

تحياتى الى الدكتور وطسون ، وأطيب تمنياتى لشخصك العزيز .

المخلص

أرسين لوبين

وهتف وطسون وهو يقلب كفيه دهشة :

ـ أرسين لوبين !!

فضرب هولمز المائدة بقبضة يده وصاح :

ـ لقد بدأ هذا الحيوان يضايقنى ، انه يسخر منى كما لو كنت طفلا .. انه يشفق على من الفشل !!! أرأيت أوقح

من هذا ؟؟ ألم أرغمه على رد الماسة الزرقاء التى سرقها ؟؟

فقال وطسون :

ـ انه يخشاك ، ويود ان ينحيك من طريقه ..

فصاح هولمز :

ـ كلام فارغ . ان أرسين لوبين لا يخشى أحد .. والدليل على ذلك انه يتحدانى .

ـ ولكن كيف علم بأمر الرسالة التى بعث بها اليك البارون دامبلفال ؟

ـ وما أدرانى !! انك تلقى على اسئلة غاية فى السخف أيها العزيز .

ـ كنت أظن ..

ـ ماذا ظننت ؟؟ هل ظننت اننى ساحر ؟

ـ كلا .. ولكنى رأيتك تأتى بالمعجزات .

ـ لا أحد يستطيع ان يأتى بالمعجزات .. كل ما أفعله اننى أفكر ، وأحلل ، وأصل الى النتيجة .. ولكنى لا ألجأ قط الى التخمين .. الاغبياء وحدهم هم الذين يفعلون ذلك

فاطرق وطسون برأسه ، بينما راح هولمز يذرع الغرفة جيئة وذهابا وعلى وجهه دلائل الغيظ والضيق .

وبعد قليل ، دق هولمز الجرس ، وأمر خادمه أن يعد حقيبته ..

وفكر وطسون فى الامر ، وهداه تفكيره الى أن صديقه لابد قد أزمع السفر ، فقال يحدث صديقه :

ـ هل صح عزمك على السفر الى باريس يا هولمز ؟

ـ ربما ..

ـ وهل أفهم من ذلك انك قبلت تحدى لوبين ، كما قبلت قضية البارون دامبلفال ؟ .

- ربما .
- اذن فسأرافقك .
فتوقف هولمز عن السير وصاح :
- مهلا .. مهلا أيها الصديق .. ألا تخشى أن يكسر لوبين ذراعك اليمنى كما كسر ذراعك اليسرى فى معركتنا الاخيرة ؟
- وكيف أخشاه وانت معى ؟
- حسنا .. سوف نثبت لهذا المغرور انه أخطأ حين القى القفاز فى وجهى بمثل هذه القحة .. أسرع اذن واعدد نفسك للسفر بأول قطار ..
- ألا تنتظر ورود الصحف التى قال البارون انه بعث بها اليك ؟
- لا ضرورة لذلك ..
- هل أبرق للبارون لأنبئه بأنك قبلت القضية ؟
- اذا فعلت ذلك عرف لوبين اننى فى طريقى الى باريس والرأى عندى أن نأخذ هذه المرة بأسباب الحذر والكتمان
ووصل الصديقان الى (دوفر) بعد ظهر ذلك اليوم . وهناك عبرا (المانش) فى ظروف ملائمة ، ثم استقلا القطار السريع من كاليه الى باريس ، واستغرقت الرحلة ثلاث ساعات قضاها هولمز فى نوم عميق ، بينما جلس وطسون بجانبه كالحارس الامين .
واستيقظ هولمز من نومه ممتلئا نشاطا وحيوية ..
كان مجرد التفكير فى انه سيلتحم مع لوبين فى معركة حاسمة يملأه مرحا وسرورا ، فراح يفرك كفيه فى ارتياح كمن يتأهب لاستقبال الكثير من أسباب المتعة .

وفى محطة باريس ، حمل هولمز معطفه بينما حمل وطسون الحقائب ، وغادر الصديقان المركبة .
قال هولمز وهو ينظر الى سماء باريس :
- ان السماء صافية ، والشمس مشرقة ، وكأن باريس تحتفل بمقدمنا .
فهتف وطسون :
- ما أشد الزحام !!
- هذا من حسن حظنا ، فسوف لا يعرفنا أحد وسط هذه الجموع .
على انه ما كاد يفرغ من حديثه حتى سمع صوتا يقول:
- أهذاأنت يا مستر هولمز ؟
فجمد فى مكانه وقد الجمته الدهشة .
ترى من ذلك الشيطان الذى يدعوه باسمه ؟؟
وأجال الطرف حوله ، ورأى الى جواره فتاة فى مقتبل العمر ، ترتدى ثوبا بسيطا ولكنه أنيق .
كانت ممشوقة القوام ، تكسو وجهها الفاتن مسحة ألم وقلق .
قالت مرة أخرى :
- انت مستر شرلوك هولمز .. أليس كذلك ؟
ولكنه لزم الصمت ، لا عن حكمة وحذر ، وانما عن دهشة وحيرة .
قالت الفتاة للمرة الثالثة :
- هل لى شرف الحديث مع مستر هولمز ؟
فصاح فى ضيق وقد تملكه الريبة :
- ماذا تريدين منى ؟

وأراد ان ينحيها من طريقه ، ولكنها ثبتت أمامه وكأنما سمرت قدماها بالارض :

- أصغ الى يا سيدى .. ان الامر على جانب عظيم من الاهمية والخطورة .. اننى أعلم انك الان فى طريقك الى شارع موريللو ..

- ماذا تقولين ؟

- أقول اننى أعلم انك فى طريقك الان الى شارع موريللو الى المنزل رقم ١٨ .. ولكن لا يجب ان تذهب .. أؤكد لك انك سوف تندم .. لا تظن اننى أقول لك ذلك لغرض فى نفسى أو لمأرب خاص .. كلا .. انما أقول ذلك خدمة للحقيقة وارضاء لضميرى .

وللمرة الثانية حاول هولمز ان يبعدها من طريقه، ولكنها قالت فى اصرار :

- أرجوك يا سيدى .. لا تكن عنيدا .. أواه ، ليتنى أعرف كيف اقنعك !! انظر الى يا سيدى .. أنظر الى عينى ألا ترى فيهما الصراحة والاخلاص ؟! الا ترى فيهما الصدق

وحملقت اليه بعينيها الواسعتين الجميلتين .

كان فيهما سحر وحزن .

وخيل للدكتور وطسون ان مثل هاتين العينين لايمكن ان تكونا الا مرآة صادقة لنفس صاحبتهما .. فهز رأسه وقال :

- يخيل الى ان الآنسة تتكلم باخلاص .

فقالت متوسلة :

- نعم .. نعم .. ويجب ان تثقا بى .

فقال وطسون :

- اننى واثق بك يا آنسة .

- كم أنا سعيدة .. ولكن صديقك .. ترى هل يثق بى أيضا ؟ اننى أشعر بأنه يثق به .. أنا موقنة من ذلك .. يالسعادة ؟! كل شىء سيكون على مايرام .. يا لها من فكرة مجيدة تلك التى خطرت لى وجعلتنى أبادر الى لقائكما اصغ الى يا مستر هولمز .. هناك قطار يغادر باريس الى (كاليه) بعد عشرين دقيقة .. فى استطاعتك ان تعود به . تعالى معى .. ان الطريق اليه من هنا .. وفى الوقت متسع لشراء تذاكر السفر .

وأمسكت بساعد هولمز .. وحاولت ان تقوده الى شباك التذاكر ، ولكنه جذب ساعده بلطف ، وقال بصوت حاول أن يبدو رقيقا :

- معذرة يا آنسة .. يؤسفنى اننى لا أستطيع النزول على رغبتك .. فلم يحدث قط اننى انسحبت من مهمة بدأتها

- أرجوك يا سيدى .. أتوسل اليك .. أواه ، ليتك تستطيع ان تفهمنى .

ولكنه انحرف بعيدا عنها ، وواصل السير ، وقال وطسون يحدث الفتاة .

- لا تنزعجى يا بنية .. وثقى انه سيمضى بالمهمة الى نهايتها .. وسوف ينتصر .

وأسرع الخطى ليلحق بهولمز .

الفصل الثانى

(الصراع الرهيب بين شرلوك هولمز وأرسين لوبين)

هذه العبارة ، بحروف كبيرة ، كانت أول ما وقع عليه بصر هولمز ووطسون عندما غادرا المحطة .

فقد مر أمامهما عشرة رجال يحمل كل منهم لوحة ضخمة نقشت على أحد وجهيها العبارة آنفة الذكر ، وعلى الوجـــه الآخر هذه الكلمات .

« النضال بين هولمز وأرسين لوبين - وصول هولمز الى باريس - البوليس السرى الانجليزى الكبير يحاول اماطة اللثام عن لغز شارع موريللو - اقرأ التفصيلات بجريدة (ايكو دى فرانس) » .

وكان كل من الرجال العشرة ، يحمل لوحته على كتفيه ويمسك بيده عصا فى طرفها قطعة من الحديد ، يدق بها الارض بطريقة منتظمة .

وانتظر وطسون حتى مر الرجال العشرة ، ثم هز رأسه فى حيرة ودهشة وقال :

- ما معنى كل هذا يا هولمز !! كنت أظن بعد ان تنكرنا بهذه الدقة ان أحدا لن يشعر بقدومنا .. ولكن يخيل الى الآن اننا سنجد بشارع موريللو فرقة من رجال البوليس لتحيتنا والترحيب بنا .. ومن يدرى فقد يعدون لنا استقبالا رسميا ويشربون الشمبانيا نخب صحتنا .

فعض هولمز على ناجذيه ولم يجب .

وقرأ المارة اللوحات وابتسموا ، وراح بعضهم يرسل النكات سخرية من هولمز .

وكظم هذا الاخير غيظه ، واقترب من أحد حملة اللوحات وسأله :

- متى استخدمت فى هذه المهمة ؟

- صباح اليوم

- ومتى بدأت السير فى الشوارع ؟

- منذ ساعة

- وهل وجدت اللوحة مكتوبة ومعدة ؟

- نعم . كانت مكتوبة ومعدة فى شركة الاعلانات عندما ذهبت اليها صباح اليوم .

اذن فقد كان لوبين يعلم ان هولمز سيقبل التحـــدى وسيدخل المعركة .

بل ان الرسالة التى بعث بها لوبين الى هولمز تدل على انه يريد هذه المعركة ويسعى اليها .

انه يريد الالتحام بغريمه العتيد مرة أخرى .. ولكن لماذا ؟ وما الدافع له على استئناف النضال ؟ ترى هل ذاك جزء من خطة مدبرة !!

وتردد هولمز لحظة ..

لابد ان يكون لوبين واثقا من النصر ، والا لما تحداه بهذه الجرأة ..

ترى هل القى هولمز بنفســــه فى الفخ حين لبى دعوة البارون دامبلفال دون تفكير ؟

ولكنه ما لبث ان هز كتفيه وهتف بصديقه :

- هلم بنا يا وطسون

واستوقف احدى المركبات وقال للحوذى :

- اذهب بنا الى رقم ١٨ بشارع موريللو .

يحف بشارع موريللو صفان من القصور الفخمة ، يطل بعضها على حديقة مونسو المشهورة ، ومن أجمل هذه القصور وأروعها ، القصر الذى يحمل رقم ١٨ والذى يقيم فيـــه البارون دامبلفال وزوجته وأولادهما .

وقد استطاع البارون ، بما عرف عنه من سلامة الذوق

وسعة الثراء ان يجعل من هذا القصر تحفة فنية رائعة .

وفى مقدمة القصر فناء واسع يفصل بينه وبين الشارع وفى مؤخرته حديقة مترامية الاطراف ، تتعانق اشجارها مع أشجار حديقة مونسو .

اجتاز هولمز وصديقه الفناء الكبير ، ورافقهما الخادم الى قاعة استقبال صغيرة فى الطابق الاول تطل على الحديقة .

وكانت نظرة واحدة حولهما ، الى الاثاث الانيق والتحف واللوحات الفنية التى تزين المكان ، كافية لاشعارهما بأن البارون لابد وأن يكون من أصحاب الملايين .

قال الدكتور وطسون وهو يدور ببصره فى جوانب المكان

- كل شيء هنا يدل على سلامة الذوق وسعة الثراء .. وليس من العسير على المرء ان يلاحظ أن أولئك الذين وجدوا من وقتهم متسعا لجمع هذه التحف والمقتنيات الثمينة .. لابد أن يكونوا فى سن معينة .. فى الخمسين من العمر مثلا

على انه قبل ان يتم عبارته ، فتح الباب ودخل البارون دمبلفال تتبعه زوجته .

وخلافا لما استنتجه وطسون . كان الزوجان فى مقتبل العمر ، وعلى جانب عظيم من الوسامة والاناقة ، وقد رحبا بضيفيهما بحرارة . وعبرا عن شكرهما بعبارات متناهية فى الرقة .

قال البارون يحدث هولمز :

- الحق اننى عاجز عن شكرك لما تكبدت من متاعب ومشاق من أجلنا ، وانى أحمد للحادث الذى وقع لنا انه هيأ لنا شرف الاستمتاع بلقائك و ..

وفكر وطسون : يا الهى .. ما أرق هؤلاء الفرنسيين!

واستطرد البارون قائلا :

- على أن الوقت من ذهب .. وخاصة وقتك انت يامستر هولمز .. واذا شئت فاننا نبدأ الحديث فى الموضوع فورا . فما رأيك فى هذه القضية يا مستر هولمز .. وهل ثمة أمل فى اماطة اللثام عن خباياها ؟

فأجاب هولمز :

- لكى أميط اللثام عن خبايا موضوع ، يجب أولا أن أعرف تفصيلاته .

- ألم تقرأ التفصيلات ؟

- كلا .. وأرجو ان تسرد على الموضوع فى وضوح وبلا خباء .. فما هو ؟

- انه حادث سرقة .

- ومتى وقعت هذه السرقة ؟

فأجاب البارون :

- فى ليلة الاحد الماضى .

- أى منذ ستة أيام ؟ حسنا .. اننى مصغ اليك ..

- يجب ان أقول لك أولا يا سيدى ، اننى وزوجتى، على الرغم من أننا نعيش الحياة التى تلائم مركزنا الاجتماعى، فاننا قلما نغادر هذا القصر .. والواقع ان حياتنا تتلخص فى الاشراف على تربية أولادنا والاهتمام بتجميل قصرنا ، واستقبال بعض الاصدقاء بين وقت وآخر .. وفيما عدا ذلك فاننا نقضى أكثر امسياتنا هنا فى الجناح الخاص بزوجتى حيث نحتفظ بأهم مقتنياتنا من التحف واللوحات الفنية .

وفى مساء الاحد الماضى . أطفأت الانوار الكهربائية وقصدت مع زوجتى الى مخدعنا كالعادة .

-- وأين يقع هذا المخدع ؟

-- بجوار هذه الغرفة حيث نجلس الان .. وفى صباح اليوم التالى ، وهو يوم الاحد ، استيقظت مبكرا ، ولما كانت سوزان - زوجتى - لا تزال مستغرقة فى نومها ، فقدخرجت من المخدع فى هدوء حتى لاأزعجها ، وجئت الى هذه الغرفة وهى غرفة استقبال صغيرة ملحقة بالمخدع - ولشدة ماكانت دهشتى حين وجدت هذه النافذة (وأشار الى النافذة) مفتوحة بينما كنا قد أغلقناها فى الليلة السابقة .

- لعل أحد الخدم ..

- كلا .. فان أحدا من الخدم لا يجرؤ على الدخول فى الصباح قبل ان ندق الجرس .. أضف الى ذلك اننى أحرص دائما على أن أغلق بنفسى هذا الباب الزجاجى المؤدى الى المخدع ..

ومعنى ذلك ان النافذة لابد أن تكـون قد فتحت من الخارج .. والدليل على ذلك ان اللوح الزجاجى الثانىالى اليمين قد أزيل من النافذة .

-- وعلام تطل هذه النافذة ؟

- هذه النافذة - كما تستطيع ان تحقق بنفسـك - تؤدى الى شرفة يحيط بها سور من الحجارة .

نحن هنا فى الطابق الاول . وفى استطاعتك ان ترى الحديقة الكائنة خلف القصر ، والسور الذى يفصـلها عن حديقة (مونسو) .

من المحقق اذن ان اللص جاء من حديقة (مونســو) وتخطى السور بواسطة سلم ، ثم صعد الى الشرفة .

- نعم ، فقد وجدنا على جانبى السور آثار السلمالذى

استخدمه اللص فى الصعود والهبوط .. وهذه الآثار هى عبارة عن ثقبين فى الارض نتيجة لارتكاز قائمتى السلم ..

كذلك وجدت هذه الآثار تحت الشرفة .. مما يدل على ان اللص استخدم فىالصعود اليها نفس السلم التىاستخدمها لتخطى السور الذى يفصل بين حديقتنا وحديقة (مونسو)

- ان حديقة « مونسو » من الحدائق العامة التى تغلق أثناء الليل .. اليس كذلك ؟

- انها من الحدائق العامة ولكنها تظل مفتوحة ليـلا ونهارا .

وعلى كل حال فان البيت رقم ١٤ تجرى به الآن عملية بناء وترميم .. ومن السهل دخول الحديقة عن طريقه .

ففكر هولمز قليلا ثم قال :

- لنتحدث الان عن السرقة .. يفهـم من حديثك أن السرقة حدثت فى نفس هذه الغرفة التى نجلس نحن فيهاالان

- نعم .. كان يوجد هنا ، بجوار تمثال العذراء الذى يرجع تاريخه الى القرن الثانى عشر ، مصباح صـغير من الفضة .. ولكنه اختفى .

- ألم يسرق شىء آخر ؟

- كلا ..

- هل تستطيع ان تصف لى هذا المصباح ؟

- انه كأى مصباح عادى يتـألف من قطعتين ، الاولى للبترول والثانية لشريط الاضاءة .

- يخيل لى أنه شىء لا قيمة له .

- الواقع ان قيمة هذا النوع من المصابيح ضـئيلة ولا تكاد تذكر ، ولكن هذا المصباح بالذات له قيمة عظيمة.

فقد اعتدنا ان نخبىء فيه أو على الاصح · فى الجزء المعد لبترول — حلية عائلية عظيمة القيمة ، عقد من الذهب مرصع بمجموعة من الزمرد لا تقدر بثمن ·

— ولم هذه العادة ؟

— لا أعلم يا سيدى ·· كنا نعتقد ان هذا المصباح الفضى العتيق لا يمكن ان يلفت الانظار ·· وأن أحدا لن يخطر له أننا نضع فيه مثل هذه الحلية الثمينة ·

— ألم يكن هناك من يعلم بأمر هذا المخبأ ؟

— كلا

— فيما عدا اللص طبعا ·· والا لما سرق المصباح ·

— هذا صحيح ·· ولكن كيف تسنى للص ان يعرفه ؟ اننا لم نعرف الطريقة السرية لفتح المصباح الا مصادفة ·

— ان هذه المصادفة ذاتها يمكن ان تكشف السر لاى أصدقاء الاسرة ·· ولكن امض فى حديثك ·· هل أخطرت انسان ·· لاى خادم من خدم القصر ·· أو لاى صديق من رجال العدالة ؟

— طبعا ·· وقد أجرى أحد القضاة تحقيقا دقيقا · كذلك مخبرو الصحف التى تعنى بالقضايا البوليسية بتحقيقات واسعة النطاق ·· ولكن الغموض لايزال يكتنف الحادث ، ولم يسفر التحقيق عن نتيجة ·

فنهض هولمز ، وسار الى النافذة ، وفحصها ، وفحص الشرفة واستخدم عدسته فى فحص الآثار التى تركها السلم على حافة المقصورة ·· ثم طلب الى البارون ان يذهب به الى الحديقة ، وهناك جلس على أحد المقاعد ، وأرسل بصره الى سقف القصر ··

وبعد ان قضى بضع دقائق متأملا مفكرا ، نهض فجأة ، وسار الى حيث وضع القوم صندوقين من الخشب للمحافظة على الاثار التى تخلفت عن ارتكاز السلم الذى استخدمه اللص على أرض الحديقة · فرفع الصندوقين وجثا على ركبتيه ، وادنى وجهه من الثقبين باحثا فاحصا · وقاس بعض الابعاد ·· ثم فحص بالمثل الاثار التى تركها اللص عند السور الذى يفصل حديقة القصر عن حديقة « مونسو » ·

الفصل الثالث

عاد هولمز والبارون الى قاعة الاستقبال الصغيرة الملحقة بالمخدع ، حيث كانت البارونة ووطسون فى الانتظار ·

ولزم هولمز الصمت لحظة ثم قال :

— لقد لفت نظرى منذ بدأت قصتك يا سيدى البارون ان الحادث على نحو ما وصفته قد تم فى بساطة متناهية ·· سلم لعبور سور الحديقة ·· نفس السلم للصعود الى الشرفة ، لوح من زجاج النافذة يزيله اللص ليتمكن من فتح النافذة ·· مصباح فضى يختاره اللص من بين عشرات التحف الثمينة فيأخذه ويمضى فى سبيله ··

كلا ·· كلا ·· يا سيدى البارون ·· من الواضح أن السرقة لم تتم بهذه السهولة ·

— كيف تمت اذن ؟

— لقد سرق المصباح الفضى بتدبير أرسين لوبين وتحت اشرافه ·

فهتف البارون :

– أرسين لوبين !!

– نعم . وأكثر من ذلك ان السرقة لم تحدث من الخارج وانما حدثت من الداخل .. بواسطة أحد أهل القصر ، كأحد الخدم مثلا .. وأكبر الظن ان السارق هبط من غرفته أو من سطح القصر الى الشرفة باستخدام المواسير .. وعندما كنت فى الحديقة ، رأيت أكثر من ماسورة يمكن استخدامها فى هذا الغرض .

– ولكن أين الادلة ؟!

– لو كان لوبين قد وصل الى هذه الغرفة لما خرج منها صفر اليدين ..

– انه لم يخرج صفر اليدين .. لقد أخذ المصباح الفضى .

– ان أخذ المصباح الفضى لم يكن يمنعه من أخذ تحف أخرى .. كانت هناك علبة تبغ مرصعة بالماس ، وعقد من اللؤلؤ الثمين .. ولم يكن الاستيلاء عليهما ليكلفه أكثر من أن يمد يده ليأخذ ما يريد .. ولكنه لم يستول عليهما لسبب بسيط هو انه لم يرهما .. لانه لم يدخل الى هذه الغرفة بنفسه

فسأله البارون :

– وبماذا اذن تفسر الآثار التى وجدناها ؟

– كلام فارغ .. آثار مصطنعة للتضليل وابعاد الشبهات

– والخدوش التى وجدت على حافة الشرفة نتيجة لاحتكاك السلم بها ؟

– انها خدعة دبرت باستخدام ورق الصنفرة .. واليك قطع من هذا الورق وجدتها فى الحديقة وعلى أرض الشرفة .

– وآثار السلم فى أرض الحديقة ؟

خدعة أخرى .. واذا قارنا الثقبين الموجودين فى الارض تحت الشرفة نتيجة لوضع السلم هناك ، بالثقبين الموجودين تحت السور الفاصل بين حديقة القصر وحديقة مونسو لوجدتها جميعا متشابهة من حيث الشكل .. ولكن التشابه ينتهى عند هذا الحد . لان المسافة بين الثقبين تحت الشرفة تختلف عن المسافة بين الثقبين تحت السور .. الاولى طولها ٢٣ سنتيمترا ، والثانية طولها ٢٨ سنتيمترا .. ومن غير المعقول ان يكون اللص قد استخدم سلمين خشبيتين مختلفتين ، احداهما لتسلق السور والاخرى للصعود الى الشرفة .

– والنتيجة ؟

– النتيجة .. انه مادامت الثقوب متشابهة من حيث الشكل ، فمعنى ذلك انها صنعت جميعا بقطعة خشبية واحدة على شكل الوتد .. استخدمها اللص أو اللصوص فى استحداث الثقوب الاربعة .

– ان أفضل دليل على صحة هذه النظرية ، هو العثور على هذا الوتد .

فأجاب هولمز :

– ها هو .. لقد عثرت عليه تحت احدى الاشجار .

فأحنى البارون رأسه ، ولم يسعه الا الاقتناع .

لم يكن قد انقضى منذ قدوم البوليس السرى الانجليزى الكبير الى القصر أكثر من أربعين دقيقة ، وخلال هذه الفترة الوجيزة ، استطاع الرجل ان يهدم جميع الادلة التى كانت قائمة ، وان ينفذ من الظواهر الخادعة الى بواطن الحادث ويبرز حقائق جديدة قائمة على أدلة مادية ملموسة لا يجد اليها الشك سبيلا .

قال البارون :

— ان الاتهام الذى توجهه الى خـــدم القصر على جانب عظيم من الخطورة ياسيدى ·· انهم جميعا يعملون فى خدمة الاسرة منذ عشرات السنين ، و لاأعتقد ان بينهم من يستطيع الاقدام على متل هذه الخيانة ·

فسأله هولمز :

— اذا لم يكن بينهم خائن ، فكيف تفسر ورود هـذه الرسالة الى فى نفس اللحظة التى تسلمت فيها رسالتك ؟

وقدم اليه الرسالة التى جاءته من أرسين لوبين ·

وظهرت علامات الدهشة على وجه البارونة وهتفت :

— أرسين لوبين !! كيف علم بالامر ؟

فقال هولمز موجها الحديث الى البارون :

— ألم تطلع أحدا على مضمون رسالتك ؟

فأجاب البارون :

— كلا ·· لقد خطرت لنا الفكرة ذات مســـاء ونحن نتناول طعام العشاء ·

— هل كان هناك أحد من الخدم ؟

فأجاب البارون :

— لم يكن فى غرفة الطعام سوى ابنتانا ، ولكن لا ·· أظن ان صوفى وهنرييتا لم يتناولا معنا طعام العشاء فى تلك الليلة أليس كذلك يا سوزان ؟

ففكرت البارونة قليلا ثم أجابت :

— نعم ·· انهما تناولتا العشاء فى تلك الليلة مع الانسة

فقال هولمز بلهجة التساؤل :

الآنسة ؟

— نعم ·· الآنسة اليس ديمون ·· المربية ·

— الا تتناول هذه الانسة الطعام معكما ؟

— كلا ·· انها تتناول الطعام وحدها فى غرفتها ·

وهنا خطر للدكتور وطسون خاطر فسأل :

— الم توضع الرسالة التى وردت الى صديقى هولمز فى صندوق البريد ؟

— طبعـا ·

— من حملها الى صندوق البريد ؟

— فاجاب البارون :

— دومينيك ·· خادمى الخاص منذ عشرين عاما ··وهو رجل مخلص لا سبيل الى الشك فى أمانته · وأى بحث فى هذه الناحية هو جهد ضائع ·

فقال وطسون متفلسفا :

— ان أى بحث فى أى اتجاه لا يعد جهدا ضائعا ·

***

وانهى هولمز المرحلة الاولى من التحقيق عند هذا الحد، ثم خلا الى نفسه فى الغرفة التى أعدت له ··

وبعد ساعة ، التقى على مائدة العشاء بالطفلتين ، صوفى وهنريتا ، ابنتى البارون دمبلفال · وهما طفلتان جميلتان تناهزان الثامنة والعاشرة ··

ودار الحديث حول المائدة فى بعض الشئون العامة ، ورد هولمز على مجاملات البارون وزوجته بشيء من الجفـاء والاقتضاب فلزم الزوجان الصمت ·

ثم اديرت أقداح القهوة ، فازدرد هولمز قدحه ، وتأهب للانصراف ·

وفى هذه اللحظة ، دخل أحد الخدم وقدم اليه برقية وردت فى التو واللحظة ، ففضها وقرأ فيها :

« اسمح لى أن أعبر لك عن عظيم اعجابى وتقديرى ، فان النتيجة التى وصلت اليها فى هذه الفترة الوجيزة تبعث على الدهشة حقا » .

أرسين لوبين

***

وذعر هولمز ، ودفع بالبرقية الى البارون وهو يقول :

ـ الا تعتقد الان ياسيدى ان جدران قصرك لها آذان وعيون ؟

وذهل البارون وغمغم قائلا :

ـ الحق انني لا أفهم شيئا ..

ـ ولا أنا .. كل ما أفهمه انه ما من حركة تحدث هنا الا ويعلم بها لوبين ، وما من كلمة تقال الا ويسمعها .

الفصل الرابع

فى ذلك المساء ، أوى الدكتور وطسون الى فراشه وهو ناعم البال شأن كل انسان أدى واجبه على الوجه الاكمل ، فلم يكد راسه يستقر على الوسادة حتى استغرق فى نوم عميق . ورأى فيما يرى النائم أسعد الاحلام ... رأى انه يطارد لوبين وانه أحدق به ، ومد يده ليلقى القبض عليه .. وكان انفعاله من القوة بحيث استيقظ من نومه . وحينئذ شعر بانسان يحوم حول فراشه . فاختطف مسدسه من تحت الوسادة وهتف :

ـ مكانك يا لوبين .. سأطلق النار اذا أتيت بحركة .

فسمع صوتا يجيب :

ـ لك الله أيها الصديق .. ما أشد تفاؤلك !!

ـ آه .. أهذا أنت يا هولمز ؟ هل انت بحاجة الى ؟

فأجاب هولمز :

ـ انني بحاجة الى عينيك .. انهض .

واقتاده الى النافذة واستطرد قائلا :

ـ أنظر .. الى الجانب الآخر من السور الذى يفصل بين حديقة القصر وحديقة (مونسو) .. ألا ترى شيئا ؟

ـ كلا .. لا أرى شيئا ..

ـ انك ترى ..

ـ نعم .. نعم .. أرى شبحا .. بل شبحين .

ـ أليس كذلك ؟؟ انهما يتحركان بجوار السور .. هلم بنا .. دعنا لا نضيع الوقت سدى .

***

وخرج مهرولا ، وتبعه وطسون ، فهبطا السلم الى غرفة فى الطابق الارضى تطل على الحديقة .

ومن خلال نافذة الغرفة ، راحا يرقبان الشبحين .

كانا لا يزالان فى مكانهما الاول بجوار السور .

قال هولمز بعد لحظة :

ـ هذا عجيب ، يخيل الى اننى أسمع جلبة فى القصر .

ـ فى القصر ؟ هذا مستحيل ، فالجميع مستغرقون فى النوم .

ـ ارهف اذنيك وانصت .

وفى هذه اللحظة سمعا صفيرا خافتا صادرا من ناحية السور ، وشاهدا ضوءا ينبعث فجأة من القصر .

قال هولمز فى همس :

- لابد ان يكون البارون وزوجته قد استيقظا من نومهما وأضاءا النور .. ان مخدعهما يقع فوق هذه الغرفة حيث نوجد نحن الان .

فقال وطسون :

- اذن فهما اللذان أحدثا الضجة التى سمعتها .. ولعلهما الان يرقبان السور .

ودوى الصفير للمرة الثانية ، ولكنه كان خافتا مكتوما .

فقال هولمز وقد تملكه الحيرة :

- اننى لا أكاد أفهم شيئا .

- ولا أنا .

وتقدم هولمز من الباب المؤدى الى الحديقة وفتحه فى حذر شديد ..

وفى هذه اللحظة ، سمع الصديقان الصفير للمرة الثالثة ولكنه كان يختلف عن المرتين السابقتين ..

كان صفيرا مرتفعا قليلا ، وله نغم يختلف عن سابقيه.

وفى الوقت نفسه ، اشتدت الجلبة فوق رأس الصديقين .

فهمس هولمز قائلا :

- يخيل الى أن الجلبة صادرة من شرفة المخدع .

وأطل برأسه من الباب ، ولكنه ما لبث ان تراجع وعلى شفتيه صيحة دهشة وعجب ..

وأطل وطسون بدوره فرأى على مقربة منهما سلما خشبية مسندة الى حاجز الشرفة .

صاح هولمز :

- لقد تسلل بعضهم الى المخدع .. وهذا سبب الجلبة

التى سمعناها .. أسرع .. دعنا نرفع السلم ..

ولكنه قبل ان يتحرك من مكانه ، هبط شخص على السلم بسرعة مذهلة ، حتى اذا استقرت قدماه على الارض ، حمل السلم وراح يعدو بها نحو سور الحديقة ، حيث كان زميلاه فى انتظاره .

وانطلق هولمز ووطسون فى أثر الرجل ، ولحقا به وهو يهم باسناد السلم الى سور الحديقة ..

وفى هذه اللحظة ، دوى من الجانب الاخر للسور طلقان ناريان فصاح هولمز بزميله :

- هل جرحت ؟

وأجاب وطسون :

- كلا ..

وانقض وطسون على الرجل وأمسك به ، وحاول أن يشل حركته ، ولكن الرجل تحول اليه فجأة ، ولطمه باحدى يديه ، وأغمد خنجرا فى صدره بيده الاخرى ، فتأوه وطسون ثم ترنح وسقط على الارض .

فصاح هولمز :

- الويل لهم اذا كانوا قتلوه .

ومدد وطسون على أرض الحديقة ، ثم هجم على السلم .. ولكن بعد فوات الوقت ..

كان الرجل قد تسلق السلم ، وانضم الى زميليه ، وتوارى ثلاثتهم بين أشجار حديقة مونسو .

وعاد هولمز الى صديقه وركع بجواره وراح يهتف :

- وطسون .. وطسون .. ان اصابتك ليست خطيرة .. أليس كذلك ؟ مجرد جرح سطحى .

وفتحت أبواب القصر فجأة ، وأقبل البارون دامبلفال، وخلفه بعض الخدم يحملون الشموع .

صاح البارون :

- ماذا حدث ؟ .. هل جرح الدكتور وطسون ؟

فأجاب هولمز محاولا ان يغالط نفسه :

- انه خدش بسيط ..

ولكن الدم كان يتدفق من صدر وطسون ، وقد امتقع وجه الرجل وغارت عيناه ..

***

واستدعى أحد الاطباء على عجل ، فجاء بعد نحو عشرين دقيقة وفحص وطسون ، وقرر ان نصل الخنجر كان على بعد أربعة ملليمترات من قلب المصاب .

فصاح هولمز :

- على بعد أربعة ملليمترات فقط من القلب !! حقا انه لسعيد الحظ !!

- فغمغم الطبيب فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

- أعنى انه قوى البنية ، وسيبرأ من اصابته ويغادر الفراش بعد ..

فقاطعه الطبيب :

- يجب ان يلزم الفراش ستة أسابيع على الاقل ..

- لا أكثر من ذلك ؟

- كلا .. اللهم الا اذا حدثت مضاعفات ..

- يا للشيطان !! ولماذا تريد أن تحدث له مضاعفات ؟؟

***

ولما اطمأن هولمز على حياة صديقه .. لحق بالبارون فى المخدع ..

كان اللص فى هذه المرة جريئا غاية الجرأة .. فقد حمل كل ما وصلت يداه ..

حمل علبة التبغ المرصعة بالاحجار الكريمة .. وعقد اللؤلؤ الاثرى ، وغير ذلك من التحف الخفيفة الثمينة التى يمكن ان يتسع لها جيب لص يعرف أصول المهنة .

وكانت النافذة التى دخل منها اللص لاتزال مفتوحة ، وأثبت التحقيق السريع الذى قام به هولمز فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، ان اللص دخل عن طريق حديقة مونسو ، وانه استخدم سلما خشبية جاء بها من العمارة المجاورةالتى يعمل البناؤون فى تشييدها .

قال البارون وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

- صفوة القول ان هذا الحادث هو تكرار لحادث سرقة المصباح الفضى .. نفس الاسلوب ، ونفس الخطوات ..

فأجاب هولمز :

- هذا صحيح ، اذا جاز لنا ان نأخذ بنظرية المحقق الذى قام بتحقيق الحادث الاول .

- الا تؤمن انت بصحة هذه النظرية ؟؟ الا ترى أن هذا الحادث يؤيد وجهة نظرك فى كيفية وقوع الحادث الاول ؟

- بل على العكس يا سيدى .. انه يؤيدها .

- أهذا ممكن ؟؟ ألم تر بعينى رأسك ان اللص قد جاء من الخارج ؟؟ ألا زلت تصر بعد حادث اليوم على أن المصباح الفضى قد سرق بالاتفاق مع آحد خدم القصر ..

- بالاتفاق مع شخص يقيم فى القصر .

- اذن كيف تفسر ...

فقاطعه هولمز :

- لن أفسر شيئا يا سيدى .. اننى أمام حادثين لارابط بينهما الا فى الظاهر .. فأنا أحكم عليهمـــا فرادى .. وأحاول ان أجد الصلة التى تربط بينهما .

وكان يتكلم بلهجة الواثق من نفسه ، فلم يسع البارون الا الرضوخ والتظاهر بالاقتناع .. فطرق برأسه قليـلا ثم قال :

- حسنا .. يجب على كل حال ان نخطر الشرطة ..

فصاح هولمز بجدة :

- كلا .. لاتفعل .. فليس فى نيتى الاتصال بالشرطة الا حين الحاجة اليهم .

- وحادث السرقة .. والطلقات النارية ؟

- هذا لا يهم .

- وصديقك الجريح ؟

- اتصل بالطبيب واطلب اليه ان يكتم الامر .. وسأقوم أنا بالتفاهم مع رجال العدالة .

***

وانقضى يومان لم يقع خلالها اى حادث .. ولكن هولمز لم يكف عن البحث والاستقصاء .

كان يحز فى نفسه ويجرح كبرياءه ان ذلك الحـادث الجرىء قد وقع تحت سمعه وبصره دون ان يستطيع لهدفعا .. فأخذ يعمل بحماسة واهتمام لا حد لهما ..

قام بتفتيش القصر والحديقة تفتيشا دقيقا ، واستجوب الخدم ، وقضى وقتا طويلا فى المطبخ واصطبلات الخيل ، وعلى

الرغم من انه لم يعثر على أى دليل يضىء له الطريق ، فانه لم يفقد الأمل .

قال لنفسه :

- سأجد الدليل .. وسأجده هنا .. ان معركةاليوم مع أرسين لوبين ، تختلف عن معركتنا الاولى ، حين كان يتعين على أن أسير فى الظلام ، نحو غاية مجهولة .. اما الان فاننى على أرض المعركة ذاتها ، وغريمى الاول فى هذه المعركةليس أرسين لوبين الذى لا يرى ولا يقهر وانما شريكه الذى يقيم بين جدران هذا القصر ، وأبسط دليل أقع عليه .. سوف يرشدنى اليه، ويبدد كل هذا الظلام الذى نتخبط فىدياجيره

***

وهذا الدليل البسيط الذى كان هولمز يجد فى البحث عنه ، والذى استطاع ببراعته وعبقريته ان يستخلص منا من النتائج ما جعل حادث المصباح الفضى أعظم قضيةتجلت فيها مواهبه .. هذا الدليل البسيط قد ساقته اليهالصدفة البحتة فسجل به أعظم نصر فى حياته كبوليس سرى .

فقد حدث بعد ظهر اليوم الثالث انه وصل فى بحثه وتنقيبه الى غرفة تقـع فوق مخدع البارون ، تتلق فيهـــا الطفلتان دروسهما على يد المربية .

وفى هذه الغرفة ، التقى هولمز بهنرييتا ، اصغرالاختين، وكانت تبحث عنّ مقص .

قالت له ببساطة الاطفال :

- هل تعلم اننى أصنع أوراقا كتلك التى وردت اليك منذ بضعة أيام ؟

- منذ بضعة أيام ؟

– نعم ٠٠ حين كنت تتناول الطعام ٠٠ ألم يحضر اليك الخادم ورقة ٠٠٠ أعنى برقية ؟؟ اننى أستطيع أن أصنع مثلها ٠

قالت ذلك وانصرفت ٠٠

ولم تكن كلماتها تعنى شيئا أكثر من أنها مجرد ثرثرة طفلة تحاول المفاخرة بمقدرتها ، وقد استمع اليها هولمز وهو شارد الفكر ثم استمر فى بحثه وتنقيبه ٠٠

ولكنه توقف فجأة ، وقد تنبه الى مغزى العبارة الاخيرة التى نطقت بها الطفلة فانطلق فى أثرها ولحق بها على درج السلم وقال لها :

– اذن فأنت تعرفين كيف تلصقين الكلمات على الورق كما فى البرقيات ؟

فأجابت الطفلة فى خيلاء :

– نعم ٠٠ اننى أقص الكلمات المطبوعة والصقها على الورق ٠

– ومن علمك هذه اللعبة الجميلة ؟

– الآنسة ٠٠ مربيتى ٠٠ لقد رأيتها تفعل ذلك ٠٠ انها تقص الكلمات من الصحف وتلصقها ٠

– وماذا تصنع بها بعد أن تلصقها ؟

– تصنع منها برقيات ورسائل تبعث بها ٠

فعاد هولمز الى الغرفة وقد أثارت هذه الكلمات فضوله وراح يعصر ذهنه فى البحث عن مغزاها ٠

ووقع بصره على حزمة من الصحف فوق الموقد فتناولها وبسطها أمامه ، واكتشف ان هناك فعلا بعض كلمات وسطور قد قطعت من بعض الصحف بعناية ، ولكن كان يكفيه أن

يقرأ الكلمات السابقة واللاحقة لكى يدرك ان الكلمات الناقصة قد قطعت كيفما اتفق ، ولعل هنرييتا هى التى قطعتها بالمقص لمجرد العبث ٠

ولكن يحتمل ان يكون بين هذه الصحف ، صحيفة قطعت منها الآنسة كلمات ذات معنى ، فكيف يتحقق من ذلك ؟

وراح هولمز يتصفح الكتب المدرسية الموضوعة فوق المائدة ثم انتقل منها الى مجموعة من الكتب كانت فوق أحد الرفوف ٠ وفجأة ، افلتت من بين شفتيه صيحة جذل ، فقد عثر تحت طائفة من الكراسات القديمة المهملة على أحد الكتيبات التى تعلم الاطفال القراءة عن طريق الرسوم والصور ولاحظ وجود فراغ فى احدى صفحات الكتيب ٠

وبفحص الصفحة ، وجد انها تتضمن أسماء أيام الاسبوع الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت ، أما كلمة « الأحد » فقد طعت من الصفحة ٠

وتذكر هولمز ان المصباح الفضى قد سرق فى ليلة الاحد ٠٠ وخالجه ذلك الشعور الذى قلما يخطىء ، والذى طالما أحس به كلما امسك بطرف الخيط فى احدى القضايا الغامضة ٠

وزدادت ثقته بنفسه ، وراح يقلب صفحات الكتيب وما لبث ان وجد مفاجأة جديدة ٠

وجد فى احدى الصفحات المخصصة للحروف الابجدية والارقام الحسابية ، أن هناك سبعة حروف وثلاثة أرقام قد قطعت من الصفحة ، فسجل هذه الحروف والارقام فى مفكرته بالترتيب الذى كانت عليه فى الصفحة هكذا :

أ ٠ أ ٠ ب ٠ ج ٠ ك ٠ و ٠ ى – ٧٣٢

وقال وهو يحك رأسه فى حيرة :

ـ يا للشيطان .. هذه الحروف والارقام لا تكاد تعنى شيئا .. ولكن ترى هل يمكن اعاد ترتيبها بطريقة أخرى بحيث تنتج منها كلمتان أو ثلاث كلمات لها معنى ؟

وأقبل على الحروف والارقام يعيد ترتيبها ويغير فى أوضاعها ولكن دون جدوى .

حل واحد كان يلح عليه باستمرار باعتباره أقرب الحلول الى الحقيقة ، ليس فقط لانه يتفق مع منطق الحوادث وانما كذلك لانه يتلاءم مع الظروف بصفة عامة .

وهذا الحل هو أن يكون وضع الحروف والارقام كمايلى :

(أجب ـ أيكو ٧٣٢)

فاذا وضعنا فى الاعتبار كلمة « الاحد » التى انتزعت من كتيب الرسوم والصور ، كان معنى ذلك ان الشخص الذى انتزع الحروف والارقام قد اقترح يوم الاحد ، ثم طلب الاجابة على اقتراحه بعنوان (أيكو ٧٣٢) وقد يكون هذا العنوان متفقا عليه فى شباك البريد حيث يمكن استلام الرسائل المعنونة بالرموز أو بأسماء مستعارة .

وأقبلت هنرييتا على هولمز وهو يضرب اخماسا لأسداس وهمست :

ـ انها لعبة مسلية .. أليس كذلك ؟

فأجاب :

ـ انها مسلية حقا . ولكن أليست معك حروف أو كلمات أخرى منزوعة من الكتب أو الصحف استطيع أن أجعل منها رسالة ذات معنى ؟

ـ حروف أو كلمات ؟ .. كلا .. ثم أن ذلك قد يغضب الآنسة .

ـ الآنسة ؟

ـ نعم ، انها انتهرتنى فعلا .

ـ لماذا ؟

ـ لانني حدثتك عن هذه اللعبة .

ـ الحق انك طفلة ذكية يا هنرييتا ، أن الفضول وقوة الملاحظة من علامات الذكاء وأنت شديدة الفضول وقوية الملاحظة .

وقد أرضى هذا الاطراء غرورها وخيلاءها ، فوضعت يدها فى جيبها وأخرجت ورقة صغيرة مطوية قدمتها اليه قائلة :

ـ انني أحبك . ولذلك أعطيك هذه الارقام .

فتناول هولمز الورقة ، وبسطها فى يده .

كان سائقو سيارات الاجرة ، قبل استخدام العدادات ، يقدمون لكل راكب شبه فاتورة عليها رقم السيارة واسم الشركة صاحبتها والمبلغ الذى دفعه الراكب ، وكانت الورقة التى قدمتها هنرييتا لهولمز من نوع هذه الفواتير .. أما رقم السيارة فكان ٨٢٧٩ .

سألها هولمز :

ـ من أين جئت بهذه الورقة ؟

ـ أنها سقطت من حقيبة الآنسة .

ـ متى ؟ وأين ؟

ـ يوم الاحد فى الكنيسة ، عندما اخرجت الانسة يدها من حقيبتها وبها قطعة من النقود وضعتها فى صندوق النذور

ـ هذا حسن .. والان ، سأدلك على طريقة لاتعرضك للوم الآنسة وتعنيفها . وهذه الطريقة هى الا تذكرى لها أنك قابلتنى أو تحدثت الى .

وذهب هولمز الى البارون ، وألقى عليه سؤالا مباشرا عن الآنسة ، ولكن البارون نظر اليه مستنكرا وصاح :

ـ هل ترتاب فى الانسة اليس ديمون ؟ هذا مستحيل .

ـ متى التحقت هذه الانسة بخدمتكم ؟

ـ منذ عام تقريبا ، ولكنى لا أعرف انسانا اكثر منها استقامة ، أو أجدر منها بثقتى .

ـ كيف حدث اننى لم أرها حتى الان ؟

ـ كانت فى أجازة لمدة يومين .

ـ والآن ؟

ـ ما كادت تعود وتعلم بما حدث حتى تطوعت للسهر على الدكتور وطسون .. ان لها كل صفات الممرضة المثالية فهى لطيفة وطيعة ويقظة . ويبدو ان الدكتور وطسون قد ارتاح اليها .

وكان هولمز قد نسى تماما فى غمرة الحوادث الاستفسار عن صحة صديقه ، فغمغم قائلا :

ـ هذا حسن .

ثم بعد لحظة :

ـ وهل خرجت الانسة اليس ديمون فى صباح يوم الاحد .

ـ تعنى فى صباح اليوم التالى لحدوث السرقة ؟

ـ نعم .

فدعا البارون زوجته وألقى عليها السؤال فأجابت :

ـ انها خرجت مع الطفلين فى الساعة الحادية عشرة كالعادة لحضور القداس فى الكنيسة .

ـ وقبل الساعة الحادية عشرة ؟

ـ قبل الساعة الحادية عشرة ؟ كلا . صبرا لحظة .

اننى كنت فى ذلك اليوم فى أشد حالات الانزعاج بسبب السرقة ولكنى أذكر انها طلبت منى فى مساء السبت ان أسمح لها بالخروج فى صباح الاحد لرؤية ابنة عمها التى قدمت الى باريس فى زيارة عابرة .. ولكن لاشك أن مستر هولمز لايرتاب فى اليس ديمون ؟

فأجاب هولمز ؟

ـ كلا بالتأكيد .. انما اردت فقط التحقق من بعض التفصيلات ..

وصعد هولمز الى غرفة وطسون ورأى على أثر دخوله فتاة طويلة القامة ترتدى زى الممرضات منحنية فوق المريض وبيدها ملعقة دواء .

ولما استدارت الفتاة ، عرف فيها هولمز على الفور الصبية التى قابلته فى المحطة وحاولت ان تثنيه عن تحقيق حادث السرقة .

لم يدر بينهما حديث أو ايضاح .. كل ماهنالك ان الفتاة ابتسمت له إبتسامة حلوة ولم يظهر على وجهها أو فى حركاتها شىء من دلائل الاضطراب أو الانزعاج .. وحاول هولمز من جانبه ان يقول شيئا ، فلم تسعفه بديهته ولزم الصمت ..

وعادت الفتاة الى عملها فى هدوء تام تحت نظرات هولمز المليئة بالدهشة والحيرة . فغسلت جرح وطسون واعادت تضميده دون ان تتلاشى عن شفتيها ابتسامتها الرقيقة الصريحة

ودار هولمز على عقبيه ، وهبط الى فناء القصر ، حيث كانت سيارة البارون دامبلفال فى الانتظار ، فأمر السائق أن يهب به الى شارع « لوفالوا » ، حيث مقر شركة السيارات

التى تتبعها السيارة رقم ٨٢٧٩ .

وعلم هولمز من مدير الشركة ، بعد ان فحص السجلات ان السائق الذى كان يقود السيارة فى صباح يوم الاحد يدعى دوبريه .. وانه الآن فى عمله بالخارج ، فصرف هولمز سيارة البارون ، وانتظر حتى فرغ دوبريه من نوبته فى العمل وعاد ليعهد بالسيارة الى السائق الذى يليه فاستفسر منه هولمز عمن ركب سيارته فى صباح يوم الاحد .

ولم يجد دوبريه صعوبة فى أن يتذكر

قال ان فتاة فى مقتبل العمر ، ترتدى ثوبا أسود وتضع فى صدرها زهرة بنفسج كبيرة، وتبدو عليها دلائل الاضطراب الشديد ركبت لسيارة بالقرب من حدائق مونسو .

فسأله هولمز :

– وهل كانت تحمل فى يدها حزمة ؟

– نعم ، حزمة صغيرة

– والى أين ذهبت بها ؟

– الى منزل بشارع « تيرن » بالقرب من ميدان سان فردينان حيث غابت نحو عشر دقائق ، ثم رجعت أدراجها وطلبت الى آن أعود بها الى حدائق مونسو .

– وهل تعرف المنزل الذى دخلته بشارع تيرن ؟

– أعرفه جيدا .. هل تريد أن أذهب بك اليه ؟

– أكون شاكرا لو فعلت .. ولكنى أرجو أولا أن تذهب بى الى ادارة البوليس بشارع « أورفيفر » .

ومن حسن الحظ انه وجد المفتش جانيمار فى مكتبه بادارة البوليس فسأله :

– هل أنت مشغول يا مسيو جانيمار ؟

– اذا كان الامر خاصا بأرسين لوبين فأنا مشغول .

– انه خاص بأرسين لوبين .

– اذن فلن اتحرك من مكانى .

– ماذا تعنى ؟

– لا ضرورة لمحاولة المستحيل . لقد يئست من نتيجة هذه المعركة غير المتكافئة التى لن تسفر الا عن هزيمتنا .. ستقول اننى جبان .. أو اننى من دعاة الهزيمة . قل ماشئت فذلك لايهمنى .. ان لوبين أقوى منا .. ولا مفر من أن نحنى رؤوسنا .

– ولكنى لن أحنى رأسى .

– سوف يرغمك على احنائها كما أرغم الكثيرين .

– اذا استطاع ان يفعل ذلك فان المنظر يكون خليقا بأن تراه وبأن يدخل السرور على نفسك .

– صدقت ، واذا كنت تعتقد انك لم تنل كفايتك من الهزائم والصفعات فهذا شأنك .. هلم بنا .

واستقلا السيارة فانطلقت بهما الى شارع تيرن وهناك جلسا فى مقهى صغير فى مواجهة المنزل الذى قال السائق ان الفتاة غابت فيه نحو عشر دقائق .

وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله فتناول هولمز ورقة وقلما وكتب بضعة سطور ثم دعا خادم المقهى وقال له :

– أرجو أن تحمل هذه الرسالة الى بواب المنزل المقابل أعتقد انه العجوز الذى يدخن غليونه على مقربة من الباب .

وما أن قرأ البواب رسالة هولمز حتى أسرع اليه فكشف له جانيمار عن شخصيته وشرع هولمز فى استجواب البواب

فسأله عما اذا كان قد رأى فتاة ترتدى ثوبا أسود تدخل البيت فى صباح يوم الاحد .

فأجاب البواب :

- فتاة ترتدى ثوبا أسود ؟ نعم . اننى رأيتها ، كان ذلك حوالى الساعة التاسعة ، وقد صعدت الى الطابق الثانى .

- هل اعتادت التردد على هذا البيت ؟

- فى المد الاخيرة فقط .. أى خلال الاسبوعين الاخيرين كانت تأتى كل يوم تقريبا .

- وهل جاءت بعد يوم الاحد ؟

- جاءت مرة واحدة .

وهى هنا الان .

- ماذا تقول ؟ هى هنا الان ؟

- نعم ..

- ومتى جاءت ؟

- منذ بضع دقائق .. والمركبة التى أقلتها مازالت تنتظرها بميدان سان فرينان كالعادة .

- من الساكن الذى يقيم بالطابق الثانى ؟

- يوجد بالطابق الثانى ساكنان ، صانعة أزياء تدعى الانسة « لانجيه » ورجل استأجر غرفتين مؤثثتين منذ شهر باسم بريسون .

- لماذا تقول « باسم بريسون » أليس هذا هو اسمه ؟

- أعتقد انه اسم مستعار ، ان زوجتى تقوم بتنظيف الغرفتين . وقد لاحظت انه ليس بين اقمصته قميصان عليهما نفس الحروف التى تدل على اسم صاحبها .

- وكيف يعيش هذا المستأجر ؟

- انه يكاد يعيش فى الخارج ، وأحيانا تمر ثلاثة أيام دون ان يعود الى مسكنه .

- هل عاد فى ليلة الاحد الماضى ؟

- فى ليلة الاحد الماضى ؟ دعنى أفكر .. آه .. نعم ، انه عاد فى ليلة الاحد الماضى ولم يبرح مسكنه بعد ذلك .

- هل تستطيع ان تصف لى هذا الشخص ؟

- يا الهى .. لا أعتقد اننى استطيع .. انه متلون كالحرباء . طويل تارة وقصير تارة أخرى .. تراه يوما بدينا ويوما نحيلا .. يوما أشقر ويوما أسمر .. الحق انه كلما وقع عليه بصرى خيل الى اننى أرى شخصا لا أعرفه ولم يسبق لى أن رأيته .

فتبادل جانيمار وهولمز نظرة ذات معنى وتمتم الاول :

- انه هو بغير شك .

وراح المفتش العجوز يقبض اصابعه ويبسطها بحركة عصبية .

- أما هولمز فقد أحس بدوره بأن نبضات قلبه تتلاحق بسرعة .

وفجأة همس البواب :

- صه . ها هى الفتاة .

والواقع ، ان الفتاة غادرت البيت فى تلك اللحظة وراحت تخترق الميدان .

واستطرد البواب :

- وها هو مسيو بريسون .

- بريسون ؟ أين هو ؟

- ذلك الذى يحمل حزمة صغيرة تحت ابطه .

– ولكنه يسير بعيدا عن الفتاة .. كأنه لايعرفها .. بينما قصدت الفتاة وحدها الى حيث تنتظرها المركبة .

فأجاب البواب :

– الواقع اننى لم أرهما معا قط .

ونهض هولمز وجانيمار على الفور ..

لقد رأيا وجه بريسون واضحا جليا ، وأدركا انه لوبين بعينه .

وكان لوبين قد سار فى شارع تيرن فى الاتجاه المضاد للميدان فسأل جانيمار صاحبه:

– أيهما تريد ان تتعقب ؟ لوبين أم الفتاة ؟

فأجاب هولمز فى غير تردد :

– سأتعقبه هو طبعا .. انه الصيد الاكبر .

فقال جانيمار :

– اذن فسأتعقب الفتاة .

ولم يشأ هولمز ان يضع جانيمار اصبعه فى القضية فهتف به :

– كلا .. كلا .. ابق معى .. أما الفتاة فاننى أعرف اين اجدها .

وانطلقا فى أثر لوبين ، وكانا يتواريان خلف المارة تارة ووراء اكشاك بيع الصحف تارة أخرى حتى لا يفطن لوبين الى أن هناك من يطارده .

على أن المطاردة كانت سهلة ، لان لوبين كان يمشى مسرعا ولايلتفت حوله ، وكان يعرج قليلا بقدمه اليمنى ، ولكنه عرج طفيف جدا لاتتبينه الا عين خبير .

قال جانيمار :

– انه يتظاهر بالعرج امعانا فى اخفاء شخصيته .

ثم استطرد بعد قليل :

– آه .. حبذا لو دعونا اثنين أو ثلاثة من رجال البوليس وأطبقنا عليه .. اننى أخشى أن يفلت منا .

ولكنهما لم يصادفا أحدا من رجال الشرطة فى شارع تيرن ، الى ان اجتاز لوبين البوابة الكبيرة المعروفة باسم بوابة الاستحكامات .. وحينئذ أصبح الاعتماد على أية معونة خارجية أمرا مشكوكا فيه .

قال هولمز :

– ان الطريق مقفر .. ويحسن بنا ان نفترق حتى لا يشعر بأننا نطارده .

ووصلا الى شارع فيكتور هوجو ، وهناك افترقا ، وتبع كل منهما رصيفا ، وراحا يتقدمان ويستتران بالاشجار

واستمرت المطاردة زهاء عشرين دقيقة الى أن انحرف لوبين يسارا ومشى فى محاذاة نهر السين .

ولاحظ هولمز وجانيمار ان غريمهما انحدر نحو الشاطىء فوقفا فى مكانهما لا يدريان ماذا يفعلان .

على ان لوبين ما لبث أن عاد أدراجه ، فتواريا خلف أحد الاعمدة حتى لا يراهما .

ومر لوبين على مقربة منهما ، فلاحظا ان الحزمة ليست معه .

وما ان ابتعد لوبين ، حتى خرج رجل من أحد المنازل القريبة .. وآخذ يسير فى أثره متواريا وراء الاشجار .

فقال هولمز بصوت خافت :

– بخيل الى أنه يطارده مثلنا .

واستمرت المطاردة ولكنها ازدادت تعقيدا بظهور ذلك الدخيل .

وقفل لوبين عائدا فى نفس الطريق التى سلكها فاجتاز بوابة شارع تيرن ، ودخل منزله بميدان سان فردينان .

وكان البواب يهم بغلق الباب حين اقترب منه جانيمار وسأله :

– انه عاد .. أليس كذلك ؟

– نعم . وقد رأيته .

– هل يوجد أحد معه فى الشقة ؟

– كلا .. وليس عنده خدم .. انه يتناول طعامه فى الخارج دائما .

– ألا يوجد هنا سلم للخدم ؟

– كلا .

فقال جانيمار محدثا هولمز :

– خير ما نفعله أن أرابط انا بباب لوبين ، بينما تذهب انت الى مركز بوليس شارع ديمور لطلب النجدة .. سأعطيك رسالة الى ضابط البوليس هناك .

فقال هولمز معترضا :

– واذا هرب خلال ذلك ؟

– كيف يهرب وانا أحرس باب شقته .

– واحد ضد واحد .. ستكون المعركة معه غيرمتكافئة

– ليس فى استطاعتى اقتحام الشقة وخاصة فى الليل لاننى لا أحمل تفويضا بذلك .

فهز هولمز كتفيه وأجاب :

– متى ألقيت القبض على لوبين ، فلن يسألك أحد عن ظروف اعتقاله . ولن يثير أحد مسألة الشكليات .. ان

الامر لايتطلب منا أكثر من أن نقرع جرس الباب .. ولنر بعد ذلك ما يكون .

وصعدا الى الطابق الثانى ، ووقفا بباب شقة لوبين ، ووضع جانيمار اصبعه على زر الجرس وضغط ورن الجرس فى الداخل ولكنهما لم يسمعا أية حركة ..

فقرع جانيمار الجرس مرة أخرى . ولكن دون جدوى

قال هولمز فى همس :

– فلندخل .

– هلم بنا ..

ولكنهما مع ذلك ترددا ، كما يتردد الانسان قبل الاقدام على عمل حاسم ..

ترددا لانهما أدركا فجأة أن لوبين لا يمكن ان يكون فى الداخل ، على مقربة منهما . وليس ما يفصل بينه وبينهما غير هذا الباب الرقيق الذى يمكن تحطيمه بقبضة اليد .

كانا يعرفان هذا الشيطان المريد حق المعرفة .. فهو ليس من الطراز الذى يضع نفسه فى مثل هذا الفخ ويسمح لخصومه باعتقاله بمثل هذه السهولة .

كلا .. كلا .. وألف مرة كلا .

من المحقق انه ليس بالداخل ، وانه استطاع الفرار من احدى النوافذ أو من السقف ، أو بأية وسيلة أخرى من الوسائل التى لابد أنه أعدها لمواجهة مثل هذه الظروف ..

ومرت بجسدهما رعدة ، فقد سمعا فى الجانب الآخر من الباب حركة طفيفة شاعت الذعر فى نفسيهما .

أحسا ، رغم جميع الافتراضات ، بأنه هناك ، لايفصله

عنهما عبر هذا الباب ، وانه الان ينصت اليهما .. ويسمع حديثهما ..

فماذا يفعلان ؟

كاكن الموقف محيرا ومحزنا ..

وعلى الرغم من حنكتهما ورباطة جأشهما فقد بلغ من اضطرابهما ان خيل الى كل منهما انه يسمع صوت نبضات قلبه .

ونظر جانيمار الى هولمز من ركن عينه كأنما ليستشيره ثم جمع قبضة يده وأهوى بها على الباب .

وهنا سمعا جلبة فى الداخل .. جلبة واضحة لاشك فيهـا ..

وأسند هولمز كتفه الى الباب ودفعه بقوة ، ففتح الباب لكنهما توقفا فجأة .. وجمدا فى مكانهما ، فقد دوى فى ات الوقت طلق نارى تردد صداه بين جدران الشقة .

وعندما استردا أنفاسهما ودخلا ، وجدا الرجل ممدا لى الارض ، ومسدسه فى يده .

فانحنى جانيمار فوقه وأدار رأسه .. فرأى الدم ينفجر جرح عميق فى خده ويسيل على وجهه ..

قال :

- لقد حجب الدم قسمات وجهه ..

وصاح هولمز :

- يا للشيطان .. انه ليس لوبين .

- كيف علمت ؟ انك لم تفحصه بعد ..

فعض هولمز على شفته وقال :

- ان أرسين لوبين ليس الرجل الذى يقتل نفسه .

- ولكننا رأيناه فى الخارج وخيل الينا انه أرسين لوبين

- خيل الينا ذلك لاننا أردنا ان يكون الامر كذلك .. ان هذا الرجل يسيطر على أخيلتنا ويرزح على صدورنا ، ويكاد يحطم أعصابنا .

- اذن لابد أن يكون هذا أحد أعوانه .

- ان أعوان أرسين لوبين لا ينتحرون .

- من يكون اذن ؟

وفتشا ثياب الجثة ، فوجد هولمز فى أحد الجيوب محفظة خالية ، ووجد جانيمار فى جيب آخر بضعة فرنكات . ولم يجد فى ثيابه أية اشارة يمكن ان ترشد الى هويته .

أما حقائبه الثلاث ، فلم يكن بها الا بعض الثيـاب الداخلية والخارجية .

ووقع بصر جانيمار على مجموعة من الصحف فوق الموقد ، ففحصها ، ووجدها كلها تتحدث عن سرقة المصباح الفضى .

وانصرف هولمز وجانيمار بعد نحو ساعة ، وهما مازالا يجهلان شخصية الرجل الذى أدى تدخلهما الى انتحاره .

ترى من يكون هذا الرجل ؟ ولماذا انتحر ؟ وما العلاقة بينه وبين حادث المصباح الفضى ؟؟ ومن الرجل المجهول الذى كان يراقبه ويطارده على ضفة النهر ؟

كلها اسئلة غامضة .. لايوجد مايلقى عليها بصيصا من الضوء .

وقد آوى هولمز الى فراشه فى تلك الليلة وهو جد مكتئب مهموم .

وفى الصباح ، تلقى البرقية التالية :

« يتشرف أرسين لوبين بأن ينهى اليكم نبأ موته فى شخص

بريسون ، ويسره ان يدعوكم للاشتراك فى تشييع جنازته. التى ستشيع على نفقة الدولة فى صباح الخميس ٢٥ يونية»

الفصل الخامس

قال هولمز محدثا صديقه وطسون وهو يلوح بالبرقية التى بعث بها لوبين اليه :

- ان ما يضايقنى فى هذه القضية أيها الصديق، اننى أحس دائما بعينى ذلك الشيطان ترقبانني ، وتحصيان على الحركات والسكنات .. انه يكاد يعرف كل أفكارى ويقرأ خواطرى التى لا أتحدث بها الى احد حتى ولا الى نفسى .. اننى أشبه بالممثل الذى يعمل ويتكلم فى حدود الاطار الذى رسمه له المخرج .. انه يخطو هذه الخطوة ، وينطق بهذه الكلمة لان هناك ارادة عليا تحتم عليه ان يفعل ذلك .. هل تفهم ما أعنى يا وطسون ؟؟

ومن المحقق ان وطسون لم يفهم شيئا ، فقد كانت حرارته تتأرجح بين الاربعين والحادية والاربعين . ولكن ذلك لم يكن يهم هولمز الذى استطرد قائلا :

- لقد كان يتعين على أن استعين بكل مواهبى واستنجد بكل شجاعتى لكيلا يتطرق اليأس الى نفسى .. ومن حسن الحظ ان هذه الدعابات الصغيرة أشبه بوخزات الدبوس.. لانها توقظنى من خمولى وتستثير همتى ، وكلما هدأت آلام الوخزات ، واندملت جراح كرامتى ، قلت لنفسى : دعه يعبث كما يشاء ، فسوف ينتهى به الامر الى أن يوقع بنفسه ..

والواقع ، ألم تكن أولى دعابات لوبين ، أو بمعنى آخر ، أولى برقياته ، هى التى أوحت الى هنربيتا بأن تحدثنى عن الحروف المنزوعة ؟

ألم يفضح نفسه بهذه الدعابة ويكشف لى عن الطريقة السرية التى يتراسل بها مع اليس ديمون ؟

تلك حقيقة لا يجب ان تغيب عن بالك أيها الصديق العزيز .

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا بخطى مسموعة ازعجت وطسون وأقلقت راحته .

واستطرد هولمز قائلا :

- ومهما يكن من أمر فان الموقف ليس من السوء كما قد يتبادر الى ذهنك أيها الصديق .. صحيح اننى أسير فى مسألة مظلمة ، ولكنى بدأت اتبين مواقع قدمى . ان أول ما يجب عمله هو معرفة حقيقة مسيو بريسون، ودوره فى المأساة وأنا على موعد مع جانيمار على ضفة نهر السين فى المكان الذى ألقى فيه بريسون الحزمة التى كان يتأبطها . ومن المحقق اننا سنميط اللثام عن سر هذا الرجل .. ثم تأتى بعد ذلك المعركة بينى وبين اليس ديمون .. وغريمتى فى هذه المعركة مخلوقة رقيقة يسهل تحطيمها ..

وثمة شىء آخر ينبغى ان أعرفه .. هو سر الرسائل الرمزية التى تقتطع اليس ديمون حروفها وأرقامها من الصحف والكتب ، أنا واثق يا وطسون ان هذه الرسائل هى مفتاح اللغز كله ..

***

وأقبلت اليس ديمون فى هذه اللحظة ، وما ان رأت هولمز يلوح بيديه ويتحدث بصوت مرتفع حتى قالت له فى رفق:

- انك تزعج مريضى ولن أغفر لك ذلك .. ألا ترى انه

مستغرق فى النوم ، لقد اوصى له الطبيب بالراحة التامة والهدوء المطلق .

فحملق هولمز بعينيه دون ان ينطق بكلمة ، وقد أدهشه فى هذه المرة كما أدهشه فى المرة السابقة ، ما يبدو عليها من مظاهر الهدوء .

قالت له :

ـ لماذا تنظر الى هكذا يا مستر هولمز ؟ لاشىء ؟ كلا .. بل يوجد شىء .. وربما أشياء .. ان نظراتك الى توحى بأنك تكتم أمرا .. فما هو ؟ أرجوك ان تجيب ..

كانت تستجوبه وتسائله بكل جارحة من جوارحها .. بوجهها الصبوح وبعينيها الساحرتين ، وبفمها الباسم ، بموقفها امامه ويداها معقودتان فوق صدرها البارز .

كان كل شىء فيها صريحا هادئا .. مما أثار هولمز وأغضبه ..

اقترب منها فجأة وقال لها بصوت خافت :

ـ لقد انتحر بريسون أمس .

فرددت ، دون ان يبدو عليها انها فهمت :

ـ بريسون انتحر أمس ..

ولم تتحرك عضلة واحدة فى وجهها ، ولم يبد عليها انها تكذب ، أو تحاول ستر كذبها .

قال لها فى ضيق وغضب :

ـ لابد انك علمت بالامر .. والا لارتجفت على الاقل .. يخيل الى انك أقوى كثيرا مما ظننت ، ولكن لماذا الخداع ؟

وأخرج الكتيب من جيبه ، وفتحه عند الصفحة التى انتزعت بعض حروفها وأرقامها وقال :

ـ هل يمكنك ان ترشدينى الى الطريقة التى ينبغى أن ترتب بها الحروف والارقام الناقصة من هذا الكتيب حتى يمكن معرفة مضمون الرسالة التى بعثت بها الى بريسون قبل سرقة المصباح الفضى بأربعة أيام ؟

ـ الطريقة التى ينبغى ان ترتب بها الحروف ؟ بريسون؟ المصباح الفضى ؟

وقد نطقت بهذه الكلمات فى بطء كأنها تحاول ان تفهم معناها .

ولم يزده انكارها الا اصرارا .. قال :

ـ نعم .. ها هى الحروف والارقام قد سجلتها على هذه الورقة .. فماذا اردت ان تقولى لبريسون ؟

ـ الحروف والارقام .. ماذا أردت أن أقول ..

وانفجرت ضاحكة بغتة وصاحت :

ـ آه .. فهمت ... اننى شريكة فى حادث السرقة .. يوجد شخص يدعى بريسون سرق المصباح الفضى ثم انتحر .. وانا شريكة هذا الشخص وصديقته .. ها .. ها يا لها من قصة مسلية !!

ـ اذن من ذا الذى ذهبت لزيارته ليلة أمس بالطابق الثانى من منزل بشارع تيرن ؟

ـ من ؟ ذهبت لزيارة الانسة لانجيه التى تصنع لى ثيابى .. فهل الانسة لانجيه ومسيو بريسون شخص واحد ؟

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل هولمز فى ريبة من أمرها .. ان الانسان يستطيع ان يصطنع الذعر والسرور والقلق ، ولكنه لا يستطيع ان يصطنع قلة الاكتراث .. أو ان يطاق

مثل هذه الضحكة المرحة .

– كلمة أخيرة .. لماذا حرصت على مقابلتى فى المحطة ؟ ولماذا توسلت الى أن أعود أدراجى فورا ولا أهتم بهذه القضية ؟

فأجابت وهى لاتزال تضحك ضحكتها المرحة الطبيعية:

– انك شديد الفضول يا مستر هولمز ، وعقابا لك لن أذكر لك السبب ، وأكثر من ذلك اننى سأتركك للعناية بصديقك المريض ريثما أذهب الى الصيدلية لشراء بعض العقاقير الضرورية التى أمر بها الطبيب .. الى اللقاء يا مستر هولمز .

وانصرفت ..

وقال هولمز لنفسه :

– لقد هزأت بى .. ولم يقتصر الامر على اننى لم استطع ان استخلص شيئا منها .. ولكننى كذلك قد كشفت أوراقى أمامها ..

وراح يتساءل .. ترى هل قدر له مرة أخرى أن يجد نفسه أمام احدى اولئك النساء اللائى دربهن لوبين على اصطناع الهدوء التام فى أشد المواقف حرجا .. وأمام أهول الاخطار ؟

وفجأة ، سمع صوتا يناديه :

– هولمز .. هولمز ..

فاقترب من فراش وطسون وانحنى فوقه وسأله :

– ماذا بك أيها الصديق العزيز ؟ هل تتألم ؟

فاهتزت شفتا وطسون .. ولكنه لم ينطق بكلمة ..

وبعد جهد كبير استطاع ان يتمتم :

– كلا يا هولمز .. ليست هى .. لايمكن ان تكون هى

– ماذا تقول ؟ أؤكد لك انها هى .. انها شريكة لوبين ما فى ذلك شك .. فاننى لا أفقد اتزانى واتصرف بمثل هذه الحماقة الا أمام مخلوقة تدربت على يد لوبين .

ها هى قد عرفت قصة الحروف المنزوعة .. وأؤكد لك انه لن تمضى ساعة حتى يكون لوبين علم بالامر .. هل قلت ساعة ؟؟ انه سيعلم بالامر فورا ، وما حكاية الصيدلية والدواء الا خدعة ..

***

وانطلق فى أثر الفتاة ، واجتاز شارع مسينا ، ورأى الفتاة تدخل احدى الصيدليات ، ثم رآها تنصرف بعد بضع دقائق وبيدها زجاجات وقنانى محزومة فى ورقة .

وسارت الفتاة فى طريقها ، ولاحظ هولمز ان رجلا يتبعها وقبعته فى يده كأنه يطلب صدقة ..

وتوقفت الفتاة لحظة ، ووضعت قطعة من النقود فى قبعة السائل ثم واصلت سيرها .

قال هولمز لنفسه :

– انها تحدثت اليه .

قال ذلك عن وحى لا عن يقين ، ووقف مترددا لحظة ، ثم قرر ان يترك الفتاة ويطارد السائل المزيف .

ووصل الرجلان ، السائل وهولمز الى ميدان سان فردينان ، وهناك تلكأ السائل طويلا أمام بيت بريسون ورفع

عينيه مرارا الى نوافذ الطابق الثانى ، وراقب بعناية كل من دخل المنزل أو غادره .

وبعد نحو ساعة ، وثب السائل الى الترام المتجه الى « نويلى » فتبعه هولمز . وجلس فى الترام وراءه بجوار رجل تحجب الصحيفة التى يقرأها وجهه ..

وما ان غادر الترام بوابة « تيرن » حتى طوى الرجل الصحيفة ، فنظر هولمز الى وجهه وعرف فيه المفتش جانيمار .

وهمس جانيمار فى اذن هولمز وهو يشير نحو السائل :

– هذا هو الرجل الذى رأيناه أمس يتعقب بريسون ، لقد قضى ساعة أمام منزل هذا الاخير .

فسأله هولمز :

– هل من جديد بشأن بريسون ؟

– لقد وردت اليه صباح اليوم رسالة تحمل اسمه وعنوانه .

– صباح اليوم ؟ اذن لابد ان يكون الراسل قد كتبها أمس قبل ان يعلم بموته .

– تماما .. والرسالة الان بين يدى المحقق .. ولكنى أذكر مضمونها ..

لقد جاء فيها :

« انه لم يقبل المفاوضة .. ويريد الاحتفاظ بكل شىء . خاصة الشىء الاول » .

واستطرد جانيمار قائلا :

– والرسالة بلا توقيع ، وهى كما ترى ، الغاز لاتفيدنا شيئا ..

فقال هولمز :

– اننى أخالفك فى هذا الرأى يا مسيو جانيمار ، وأرى على العكس ان لهذه الرسالة أهمية كبرى .

– وكيف ؟؟

– ان لدى من الاسباب الخاصة ما يحملنى على هذا الاعتقاد .

وتوقف الترام عند نهاية الخط فى شارع « شاتو » . وغادره السائل وراح يمشى فى الطريق متمهلا ، وتبعه هولمز عن كثب ، فقال له جانيمار :

– انك لا تترك مسافة كافية بينك وبينه ، واذا نظر وراءه فسيراك .

– انه لن ينظر وراءه .

– وكيف علمت ؟

– انه أحد أعوان لوبين ، ومتى سار أحد أعوان لوبين على هذا النحو ، ويده فى جيبه ، فمعنى ذلك انه يعلم ان هناك من يتعقبه . ومعناه أيضا انه لا يخشى شيئا ..

– ان ذلك لا يبرر اقترابنا منه الى هذا الحد .

– بل يجب ان نزداد اقترابا منه حتى لايفلت من أيدينا فى أية لحظة .. انه شديد الثقة بنفسه .

– ألا ترى بالمقهى اثنين من رجال البوليس راكبى الدراجات ؟ كيف يتسنى لصاحبنا الافلات اذا أمرت رجلى البوليس باعتقاله ؟

– يخيل الى أن هذا الشخص لا يخشى الاعتقال .. بل لعله يسعى اليه .

– يا الهى .. ما أقوى اعصابه !!

والواقع ، ان السائل اقترب من رجلى البوليس وهما

يهمان بركوب دراجتيهما ، وقال لهما شيئا ، ثم تناول دراجة
ثالثة كانت مسندة الى جدار المقهى فركبها ، ولحق برجلى
البوليس .

وهنا لم يتمالك هولمز من الضحك .

قال :

– ألم أكن على حق .. لقد لاذ الرجل بالفـــرار ..
وكيف ؟ بمساعدة اثنين من رجالك يا مسيو جانيمار .. ان
لارسين لوبين أعوانا بين رجال البوليس .. الم أقل لك ان
الرجل واثق من نفسه أكثر مما يجب ؟

فصاح جانيمار فى غضب :

– وما العمل الان ؟

– دعنا نتعقبهم .. ولكننا بحاجة الى نجدة .

– ان فولنفان ينتظرنى فى نهاية شارع « نويلى » .

– حسنا .. اذهب اليه .. ثم الحقا بى .

وابتعد جانيمار ، وسار هولمز فى أثر الدراجات الثلاثة
.. وكان طابعها واضحا فى أرض الشارع .

ولاحظ هولمز بعد قليل ، ان الدراجات الثلاث قـــد
انحرفت نحو نهر السين ، فى نفس الطريق الذى ســـلكه
بريسون أمس .

ووصل الانجليزى الى المكان الذى توارى فيه مع جانيمار
فى اليوم السابق حين هبط بريسون الى شاطىء النهـــر ،
لاحظ هولمز من آثار الدراجات ان الرجال الثـــلاثة قد
وقفوا فى ذلك المكان .

ونظر هولمز الى النهر ، فرأى أمامه لســـانا من الارض

يمتد فى داخل النهر ، وعند نهايته قارب صيد قديم .

وكان الماء بالقرب من الشاطىء قليلا ..

لابد ان يكون بريسون قد ألقى الحزمة فى هذه البقعة.
فاذا بحث عنها هولمز فسوف يجدها ، ما لم يكن الرجـــال
الثلاثة قد سبقوه اليها .

قال لنفسه :

– كلا .. كلا .. انهم لم يجدوا متسعا من الوقت
للبحث والتنقيب .. ان ربع ساعة لا تكفى .

ولكن ترى اين ذهبوا ؟

ورأى صيادا يجلس فى القارب العتيق فسأله :

– هل رأيت ثلاثة رجال يركبون الدراجات ؟

فهز الصياد رأسه علامة النفى .

فقال هولمز باصرار :

– قلت لك ثلاثة رجال .. لقد توقفوا هنا على بعـــد
ثلاث خطوات منك .

فتناول الصياد من جيبه مفكرة قطع منها ورقة كتب
عليها شيئا وقدمها لهولمز .

ومرت بجسد هولمز رعدة شديدة حين تناول الورقـــة
ورأى فيها الحروف والارقام التالية :

ا . ا . ا . ب . ج . ر . س . ف . ث . ن
و . ى . ت . ٧٣٢ .

***

وكانت الشمس تسطع بشدة ، فأرخى الصياد قبعته
على رأسه ، واستأنف الصيد باهتمام شديد .

وساد صمت قصير مؤلم ..

قال هولمز :

انه سر .. لا أحد سواه يستطيع ان يجلس هكذا هادىء الاعصاب غير عابىء بما يدور حوله .. ثم من سواه يعلم بأمر الحروف والارقام المنزوعة من الكتيب ؟ لابد ان تكون اليس ديمون قد أرسلت اليه من يحذره وينذره بانني قد امسكت بطرف الخيط .

وفجأة امتدت يد الانجليزى الى مسدسه ، وتعلقت عيناه بظهر الصياد ..

ان رصاصة واحدة ، تكفى لوضع حد للمأساة ، وانهاء حياة هذا المغامر الخطير .

ولم يأت الصياد بحركة ، ولم ينظر يمنه أو يسرة ..

وتملكت هولمز رغبة شديدة فى ان يطلق من مسدسه رصاصة تقضى على غريمه العتيد .. ولكنه أحس فى الوقت نفسه بالاشمئزاز من هذا الغدر الذى لا يتفق مع طبيعته وخلقه .

قال لنفسه :

- ليته فقط ينهض ليدافع عن نفسه ..

ولكنه سمع فى هذه اللحظة جلبة على الشاطىء . فنظر واله ، ورأى جانيمار وأعوانه مقبلين .

وهنا خطر له خاطر انفذه فى الحال . فوثب الى القارب رعة وأطبق على غريمه ، وتماسك الاثنان ، وتدحرجا فى ض القارب .

وصاح لوبين وهو مشتبك مع غريمه :

- وبعد ، فماذا ستكون النتيجة ؟ هب ان أحدنا تغلب الآخر فماذا يفعل به ؟ سنظل هنا معا فى قاع القارب ،

وكل منا ينظر الى الآخر فى بلاهة ..

وكان المجدافان قد انزلقا وسقطا فى الماء ، وحمل التيار القارب وقذف به الى وسط النهر ، وارتفعت من الشاطىء صيحات الذعر والهلع .

واستطرد لوبين قائلا :

- ارأيت نتيجة طيشك .. كيف تقدم على مثل هذه السخافات وأنت فى هذه السن .

وتخلص من غريمه . فنظر اليه هولمز فى سخط ، ومد يده الى جيبه ليشهر مسدسه ، ولكنه لم يجد المسدس . فقد سرقه لوبين حين اشتبك معه دون ان يشعر به .

وقذف التيار أحد المجدافين على مقربة من القارب ، فمد هولمز يده ليلتقطه فقال لوبين :

- وما الفائدة !! اذا التقطته فسوف أمنعك من استخدامه .

.. ارأيت ؟ ان الحظ يخدم صديقه لوبين .. وهو هو القارب يبتعد عن الشاطىء .

ثم صاح بغتة :

- حذار يا هولمز .

وأحنى رأسه بسرعة ، وحذا هولمز حذوه .. فقد أطلق بعضهم رصاصة من الشاطىء مرت فوق رأسيهما ..

قال لوبين :

- انه صديقنا جانيمار سامحه الله .

ثم صاح بأعلى صوته :

- هذا خطأ جسيم يا جانيمار .. القانون لا يسمح لك باطلاق الرصاص الا فى حالة الدفاع عن النفس .. ان

حنقك على لوبين الطيب قد آنساك واجباتك أيها المسكين .. ها هو يعود الى اطلاق النار مرة أخرى .. حذار أيها الاحمق والا أصبت استاذنا العظيم .

قال ذلك واتخـذ من هولمز درعا يتقى به رصاصات جانيمار وصاح بهذا الاخير :

- الآن .. فى استطاعتك ان تطلق الرصاص كما تشاء يا جانيمار .. صوب الى القلب .. الى اليسار قليلا .. قبحك الله .. لقد اخطأت الهدف .. ان يدك ترتجف .. اليس كذلك يا جانيمار .. هل تريد ان تعيد الكرة ؟ حسنا .. صوب نحو القلب . واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أطلق النار .. ها أنت قد اخطأت للمرة الثالثة .. لابد ان الحكومة تعطيك مسدسات من لعب الاطفال .

قال ذلك وأخرج من جيبه مسدسا أطلقه دون تصويب فطارت القبعة عن رأس جانيمار .

صاح :

- ما قولك فى هذا المسدس يا جانيمار ؟؟ انه جيد الصناعة . ارفعوا قبعاتكم تحية لمسدس صديقى النبيل شرلوك هولمز .

وقذف بالمسدس بكل قوته ، فسقط على الشاطىء تحت قدمى جانيمار .

***

ولم يتمالك هولمز من الابتسام اعجابا بهذا الشيطان المريد ..

يا الهى .. من اين لهذا الرجل العجيب كل هذه الحيوية وهذا النشاط ؟

انه يجد متع الحياة كلها فى مواجهة الاخطار .. واذا لم تأت الاخطار اليه ، راح يبحث عنها كما لو كانت الاخطار هى قوام حياته .

***

وازدحمت ضفتا النهر بالجماهير التى أثار فضولها هذا الصراع الممتع بين رجال البوليس ولوبين .. وأخذ جانيمار ورجاله يتبعون القارب على الشاطىء ، وهم على يقين من ان اعتقال لوبين أصبح أمرا مؤكدا ..

***

وتحول لوبين الى هولمز وقال له :

- اعترف يا سيدى بأنك لست على استعداد لان تكون مكانى ، حتى ولو أعطوك كل ذهب الترنسفال .. هذا هو الفصل الاول من المسرحية ، ولكن الفصل الخامس سيأتى فورا ، وفيه يتقرر مصير لوبين . فاما الهرب واما الاعتقال . ولذلك فاننى انتهز هذه الفرصة لالقى عليك سؤالا أرجو أن تجيب عليه فى صراحة بكلمة نعم ، أو لا .

هل تنوى التخلى عن هذه القضية أم لا ؟ لايزال فى الوقت متسع لاصلاح ما أفسدت .. أما اذا مضيت بالقضية أكثر من ذلك فسوف يتعذر انقاذ الموقف ..

فأجاب الانجليزى باقتضاب :

- كلا ..

فعض لوبين على شفتيه ..

كان من الواضح ان عناد هولمز قد ضايقه .

قال :

- اننى أصر .. من أجلك أكثر مما هو من أجلى .. انا

واثق من أنك ستكون أول من يأسف على تدخلك فى هـذه القضية .. والان ، للمرة الاخيرة .. نعم أم لا ..

— لا .

فانحنى لوبين ، وأزال لوحا من الخشب من قاع القارب وقضى بضع دقائق فى عمل لم يدرك هولمز كرهه أو مرماه.. ثم اعتدل فى جلسته وقال يحدث هولمز :

— اعتقد يا أستاذى العزيز أننا قد جئنا الى الشاطىء لغرض واحد هو العثور على الحزمة التى ألقى بها بريسون فى النهر .. أليس كذلك ؟ وكنت قد اتفقت مع بعض أعوانى على الاجتماع هنا للبحث عن الحزمة . وقد جاءوا فعـلا وأنذرونى بقدومك ، ولم يدهشنى ذلك بطبيعة الحال ، لاننى اعرف خطواتك فى التحقيق أولا بأول .. ان كل ما يحدث فى قصر شارع موريللو يبلغ فورا بالتليفون .

***

وكف عن الكلام ، وكان الماء قد بدأ يتسرب الى القارب من مكان اللوح الخشبى الذى انتزعه لوبين ، وبلل المـاء أقدامهما ، فنظر لوبين الى غريمه من ركنى عينه وقال :

— لا شك انك لست خائفا ..

فهز هولمز كتفيه ولم يجب .

ومضى لوبين فى حديثه ، قال :

— قلت لك أن كل ما يحدث فى قصر شارع موريللو يبلغ الى فورا بالتليفون ، وذلك يفسر لك أشياء كثيرة .. ويفسر بصفة خاصة مسألة الرسالة التى بعثت بها اليك فى لندن .. فقد كنت أعلم سلفا انك تنشد الدخول معى فى نضال بقدر ما انشد أنا اجتناب هذا النضال ، ولذلك قررت ان اجتذبك

الى هذه المعركة التى أعلم أننى سأنتصر فيها لاننى أمسك بجميع الخيوط ، وحرصت على الاعلان عن هذه المعركة فى أوسع نطاق ، حتى يتحدث الناس عن هزيمتك المنكرة فلا يلجأ اليك احد بعد ذلك لمعالجة قضاياه ، ولا يستعديك أحد على كما فعلت الكونتس دى كروزون فى حادث الماسة الزرقاء وكما فعل البارون دمبلفال فى حادث المصباح الفضى .. هل فهمت وجهة نظرى يا أستاذى العزيز ؟

قال ذلك ونظر طويلا الى الشاطىء وهتف :

— يا الهى .. لقد حصلوا على زورق ضخم كأنه بارجة حربية .. وها هم يجدفون بقوة .. وسيصلون الينا قبل انقضاء خمس دقائق .. ومعنى هذا اننى ضعت ...

أصغ الى يا مستر هولمز ، لماذا لاتنقض على وتشد وثاقى وتسلمنى الى رجال العدالة قبل أن يصلوا الى ، ليكون لك وحدك شرف اعتقال أرسين لوبين ؟

يخيل الى انه لا نجاة لى من أيدى البوليس الا بغـرق القارب . وفى هذه الحالة يتعين على كل منا ان يبادر بكتابة وصيته . فما رأيك فى ذلك يا مستر هولمز ؟

وتلاقت عيونهما .. وفهم هولمز لعبة غريمه ..

لقد نقب لوبين قاع القارب ، وبدأ الماء يرتفع حتى غمر أقدامهما .

وأخرج الانجليزى غليونه ، وراح يدخن فى هدوء .

ومضى لوبين فى حديثه ، قال :

— والآن يا أستاذى العزيز ، الا ترى فى حديثى هذا اعترافا بعجزى أمامك ، واننى لاأختار من المعارك معك الا ما أكون واثقا فيه من النصر ؟

انني أشكر الظروف التي هيأت لى الاجتماع بك لاقول لك هذا الكلام ..

شيء واحد يحزنني .. هو انني أقول لك هذا الكلام وأقدامنا فى الماء مما يفقد كلامى بعض وقاره .

* * *

ووصل الماء فى ارتفاعه الى حافة المقعد الذى يجلسان عليه . وبدأ القارب يغوص فى الماء بالتدريج . ومع ذلك لم يبد على أيهما شيء من دلائل الانزعاج .. فقد راح هولمز ينظر الى السماء ويدخن فى هدوء كان شيئا مما يجرى حوله لا يهمه من قريب او من بعيد ..

والواقع ، أنه لم يكن فى الدنيا ما يمكن ان يحمل هذا الانجليزى على ابداء أى دليل على القلق أو الاهتمام ، أمام غريمه الذى يرى نفسه مهددا بالاخطار ، ورجال البوليس يحدقون به من كل ناحية ، والجماهير المحتشدة على ضفتى النهر تتوقع هلاكه أو اعتقاله بين لحظة وأخرى . ومع ذلك لم يفقد شيئا من مرحه ورباطة جأشه .

كان يخيل للناظر اليهما انهما يقولان بصوت واحد : وماذا يهم اذا غرقنا!! الا يبتلع النهر كل يوم عشرات من الناس؟

واستمر أحدهما فى هذره ودعاباته ، واستمر الثانى يدخن فى هدوء .. وكلاهما أحرص على كبريائه من أن تبدر منه بادرة تنم عن الاهتمام أو القلق .

ولم تبق الا لحظة واحدة ويغوص القارب فى الماء .

* * *

قال لوبين :

ـ المهم ان نعرف هل سنغرق قبل وصول رجال العدالة

أو بعد وصولهم . لأن غرقنا أصبح أمرا مقطوعا به ، ولم يبق الا أن نكتب وصيتنا .. أنا شخصيا سأوصى بكل ثروتى لصديقى شرلوك هولمز .. المواطن الانجليزى العظيم .. ولكن ما هذا ؟ ان القوم يقتربون منا بسرعة مذهلة ..

أنظر الى المجاديف كيف تتحرك بقوة وانتظام . برافو أيها الضابط فولنفان ، سوف أرشحك للحصول على وسام .. وصديقك « ديوزى » أين هو ؟ على الضفة اليسرى أليس كذلك ؟ ومعنى هذا أننى اذا نجوت من الغرق .. التقطنى ديوزى على الضفة اليسرى ، أو جانيمار على الضفة اليمنى .. فيالها من مشكلة !!

وفى هذه اللحظة اهتز القارب وأخذ يدور حول نفسه. فأمسك هولمز بحافته وقال لوبين :

ـ أتوسل اليك أن تخلع ثيابك يا أستاذى العزيز لكى تكون أقدر على السباحة .. كلا ؟ هل ترفض ؟ على رسلك اذن .. سأحذو حذوك .

* * *

وأخيرا خرج هولمز عن صمته ..

قال :

ـ انك تتكلم كثيرا يا مسيو لوبين ، وغرورك المفرط وقعك فى الزلل .

ـ هذا تأنيب صارم يا أستاذى ...

ـ الواقع ، انك قدمت الى ـ دون أن تشعر ـ معلومات خطيرة كنت أبحث عنها ..

ـ ماذا تعنى ؟ هل كنت تبحث عن معلومات دون أن تقول لى ؟ لماذا لم تطلبها منى .

- لست بحاجة الى أحد .. الساعة الآن الثالثة .. فى الساعة السادسة تماما سأقدم للبارون دمبلفال مفتاح السر .. هذا هو الجواب الوحيد الذى ..

ولم يتم عبارته ، فقد غرق بهما القارب فجأة وغاص تحت الماء . وبعد لحظة ، طفا ثانية ولكنه كان مقلوبا .

وارتفعت صيحات الفزع على ضفتى النهر ، ثم ساد صمت رهيب .

وفجأة ، افلتت آهات الارتياح من أفواه أولئك الذين كانوا يشهدون المأساة .. فقد ظهر أحد الرجلين على سطح الماء ..

كان الرجل الذى ظهر هو هولمز .. وكان يحسن السباحة فشق طريقه بسهولة الى قارب فولنفان .. وألقى فولنفان بحبل ليمسك به .

ولم يكد الانجليزى يمسك بالحبل حتى سمع وراءه صوتا يقول :

- مفتاح السر ؟ من عجب انك لم تعرفه قبل الآن يا أستاذى .. ولكن ماذا ستفيد منه ؟؟ ان الفائدة الوحيدة التى ستجنيها هى الفشل .. والهزيمة ..

فنظر هولمز خلفه ، ورأى لوبين جالسا بارتياح على ظهر القارب المقلوب كما يجلس الانسان على ظهر الجواد .

ومضى لوبين يقول بصوت مرتفع :

- هل فهمتنى يا أستاذى ؟ انك ستجد نفسك فى موقف لا تحسد عليه ... موقف رجل ..

وهنا صاح فولنفان :

- سلم نفسك يا لوبين .

فصاح لوبين :

- انك رجل قليل الذوق يا فولنفان .. كيف تقطع على حديثى ؟ كنت أقول أن ..

- سلم نفسك يا لوبين .

- اصغ الى يا فولنفان .. ان الانسان لايستسلم الا اذا أحدق به الخطر .. ولا أظنك تزعم اننى الان فى خطر .

- اننى أدعوك للمرة الاخيرة ان تسلم نفسك يا لوبين .

- لاشك انك لاتنوى قتلى يا عزيزى فولنفان . أنك حريص على اعتقالى وأنا على قيد الحياة .. أو وأنا جريح على الاقل ... ولكن هب انك أصبتنى اصابة قاتلة ؟؟ تذكر ما سوف تشعر به من وخز الضمير فى شيخوختك عندما ..

وأطلق فولنفان الرصاص .

وترنح لوبين ، وسقط فى الماء ..

* * *

وقعت هذه الحوادث فى الساعة الثالثة ، وفى الساعة السادسة تماما ، كان هولمز فى قاعة الاستقبال الملحقة بمخدع البارون كما وعد .

كان يرتدى سروالا قصيرا ، وقميصا ضيقا ، وقبعة صغيرة ، استعارها جميعا من صاحب حانة فى «نوبلى» .

وكان قد أرسل أحد الخدم لاخطار البارون وزوجته بزيارته ، فلما لحقا به فى قاعة الاستقبال ، وأبصر به مرتديا تلك الثياب الغريبة ، بذلا جهدا كبيرا لكيلا يستغرقا فى الضحك .

وجداه يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، من النافذة الى

الباب ، ومن الباب الى النافذة ، بخطى متســاوية ، كأنه انسان آلى يتحرك أوتوماتيكيا .

وتوقف هولمز عن السير لحظة ، وتناول احدى التحف، وفحصها بعينين شاردتين ثم أعادها الى موضعها واستأنف السير .

وأخيرا وقف امامهما وسأل :

ـ هل الآنسة هنا ؟

فأجاب البارون :

ـ انها فى الحديقة مع الطفلتين .

ـ اصغ الى يا سيدى البارون .. ان اجتماعنا الان سيكون حاسما ، ولذلك أود ان تشترك فيه الآنسة أليس ديمون .

ـ هل انت على يقين من ...

ـ تذرع بالصبر يا سيدى ، وسوف تتبلج لك الحقيقة من خلال الوقائع التى سأسردها فى جلاء ووضوح .

ـ على رسلك ...

ثم تحول الى زوجته واستطرد :

ـ سوزان !! هل لك فى استدعاء أليس ديمون ؟

فخرجت البارونة وعادت بعد قليل وبرفقتهـا اليس ديمون ...

وكانت الفتاة شاحبة الوجه خلافا للمألوف . وقدظلت واقفة ومستندة بيدها على احدى الموائد .. ولم تسأل عن السبب فى دعوتها .

وبدا على هولمز كأنه لم يرها .

وتحول الانجليزى الى البارون وقال :

ـ بعد تحقيق استغرق بضـــعة أيام ورغم أن بعض الاحداث قد حملتنى على تغيير وجهة نظرى مؤقتا ، فاننى يا سيدى أكرر لك ما قلته منـــذ اللحظة الاولى ، وهو أن المصباح الفضى قد سرق بواسطة شخص يقيم فى هـــذا القصر .

ـ ما اسمه يا سيدى ؟

ـ اننى أعرفه .

ـ والأدلة ؟

ـ عندى من الادلة ما يكفى لادانته .

ـ ان الادانة لا تكفى .. بل يجب كذلك ان يعيد الينا .. فقاطعه هولمز :

ـ يعيد الينا المصباح الفضى ؟ انه معى .

ـ وعقد النؤلؤ .. وعلبة التبغ المرصعة بالماس ؟

ـ عقد اللؤلؤ .. وعلبة التبغ .. وجميع التحف التى سرقت فى المرة الثانية كلها معى .

كان هولمز شغوفا بالمفاجآت ، وقد اعتـــاد ان يعلن انتصاراته بمثل هذه الطريقة الجافة .

وراح هولمز يسرد عليهما حوادث الايام الثلاثة الاخيرة حدثهما عن الكتيب والحروف والارقام المنزوعة ، وعن مطاردته لبريستون ، وانتحار هذا المغامر ، وعن النضال الذى قام بينه وبين لوبين ، وعن غرق القارب ، واختفاء لوبين .

ولما فرغ من حديثه قال البارون بصوت خافت :

ـ لم يبق الا أن تكشف لنا عن الفاعل فمن تتهم ؟

ـ اننى أتهم الشخص الذى قطع الحروف من الكتيب

واتخذها أداة لمراسلة أرسين لوبين .

– وكيف علمت أن الشخص الذى كان المتهم يراسله هو أرسين لوبين ؟

– علمت ذلك من لوبين نفسه .

وأخرج من جيبه ورقة مهشمة ومبتلة بالماء هى الورقة التى كتبها لوبين فى القارب ودفع بها الى هولمز .

قال الانجليزى وعلى وجهه دلائل الارتياح :

– يجب ان تلاحظ أن أحدا لم يرغمه على كتابة هذه الورقة التى كشفت لى عن شخصيته ، انه فعل ذلك بدافع الغرور والاحساس بالتفوق . ولكنه تصرف صبيانى أفادنى كثيرا وأضاء لى الطريق .

فقال البارون وهو يفحص الورقة :

– وكيف أفادك ؟ انها نفس الحروف والارقام المنزوعة من الكتيب ، كما ذكرتها لنا منذ لحظة .

– كلا .. أنها ليست نفس الحروف ... انظر اليها جيدا .

فقرأ البارون فى الورقة :

ا . ا . ا . ب . ج . ر . س . ف . ك . ن
و . ى – ٧٣٢ .

قال :

– يخيل الى أنها هى بعينها .

فقال هولمز :

– هذه الحروف تزيد خمسة عن الحروف التى اكتشفت انتزاعها من الكتيب والحروف الزائدة هى – ا . ر . س
ف . ن .

– الواقع اننى لم ألاحظ ذلك .

فقال هولمز :

– كان الترتيب المعقول الوحيد للحروف والارقام التى اكتشفت نقصها من الكتيب هو (أجب – أيكو ٧٣٢) وهى كلمات لامعنى لها .. ولكن اذا أعدنا ترتيب الحروف الخمسة التى زادها لوبين واضفناها الى هذه الكلمات وجدنا هذه العبارة : (أجب – أيكو فرانس ٧٣٢)

– وما معنى (أيكو فرانس) ؟

– معناها (أيكو دى فرانس) وهو اسم جريدةأرسين لوبين التى ينشر بها مغامراته ورسائله .. فيكون معنى العبارة : (أجب فى جريدة أيكو د ىفرانس فى قسم الاعلانات الصغيرة تحت رقم ٧٣٢) .

هذه العبارة هى مفتاح السر الذى كنت أبحث عنه بلا جدوى . فتطوع لوبين بتقديمه الى بظرفه المعهود .. وقد عدت للتو من ادارة جريدة أيكو دى فرانس .

– وماذا وجدت ؟

– وجدت قصة العلاقة بين أرسين لوبين و .. وشريكته مفصلة بوضوح تام .

قال ذلك ووضع أمام البارون سبعة أعداد مختلفة من الجريدة فتحها جميعا عند الصفحة الرابعة ، حيث ينشر باب الاعلانات الصغيرة ، وأشار الى سطر فى كل عدد من الاعداد السبعة .

والسطور السبعة هى :

١ – أرس . لوب – سيدة تطلب حمايتك ٥٤٠

٢ – ٥٤٠ – اننى انتظر التفصيلات – ٧٣٢

٣ _ ٧٢٣ _ اننى تحت رحمة العدو

٤ _ ٥٤٠ _ أكتبى العنوان _ سأقوم بالتحقيق

٥ _ ٧٣٢ _ ١٨ شارع موريللو

٦ _ ٥٤٠ _ حديقة مونسو ، الساعة الثالثة ، زهرة بنفسج ٠

فصاح البارون :

_ وهل تسمى ذلك قصة مفصلة واضحة ؟

_ طبعا ٠ لو أنك قرأت هذه السطور بعناية وتفكير، لوضحت لك الحقيقة كما وضحت لى ٠

فالقصة من البداية ، هى قصة سيدة أطلقت على نفسها رقم ٥٤٠ وقد طلبت هذه السيدة من لوبين (الذى اتخذ لنفسه رقم ٧٣٢) ان يحميها ، فرد عليها لوبين مطالبا بالايضاح ٠ وأجابت السيدة بأنها تحت رحمة العدو _ والعدو هنا هو بريسون بغير شك ٠

ويبدو ان لوبين لم يطمئن فى البداية الى المغامرة مع هذه السيدة ٠ فطلب اليها ان توافيه بعنوانها ليقوم بالتحقيق ٠

وبمراجعة تواريخ الجريدة ٠٠ نجد ان السيدة ترددت أربعة أيام قبل أن تذكر له عنوانها بشارع موريللو ٠

وفى اليوم التالى ، كتب لوبين الى السيدة يقول انه سينتظرها بحديقة مونسو فى الساعة الثالثة ، وطلب اليها أن تضع على صدرها زهرة بنفسج كبيرة لكى يتعرف عليها ٠

وعلى أثر هذا اللقاء ، انقطعت المراسلات بين لوبين والسيدة ثمانية أيام ، ولابد أنهما كانا يتقابلان خلال هذه الفترة أو أنهما كانا يتراسلان مباشرة بغير وساطة الجريدة

وقد أسفرت هذه المقابلات عن خطة اتفق الاثنان على

تنفيذها ، وهى أن تسرق السيدة المصباح الفضى وتقدمه لبريسون ثمنا لسكوته ٠

وكانت السيدة تكتب الى لوبين بواسطة الحروف والارقام المنزوعة من الكتب والصحف حتى لا يفضحها خطها، ويبدو انها طلبت اليه تحديد موعد لتنفيذ الخطة ، فلما تباطأ كتبت اليه بالحروف المنزوعة من الكتيب تقول :

(٧٣٢ _ أجب فى الايكو دى فرانس)

فأجاب فى الايكو دى فرانس بأن الموعد هو ليلة الاحد، وأنه سيكون بانتظارها فى حديقة مونسو لتوافيه بالمصباح

وفى ليلة الاحد ٠٠ تمت السرقة ٠

فهتف البارون :

_ الحق أنها قصة محبوكة ، ومسلسلة تسلسلا منطقيا

قال هولمز :

_ وبينما السيدة فى شغل بسرقة المصباح ، كان لوبين يصطنع الاثار الزائفة فى الحديقة والشرفة والنافذة لتضليل المحققين وايهامهم بأن اللص جاء من الخارج ٠

وفى صباح يوم الاحد ، التقت السيدة بلوبين ، وانبأته بما فعلت ، ثم حملت المصباح الى بريسون ٠

وحدث ما توقعه لوبين ، فقد اقتنع المحققون بأن اللص جاء من الخارج ، واطمأنت السيدة وامنت شر الافتضاح ٠

فقال البارون :

_ كل هذا معقول ، ولكن بم تفسر السرقة الثانية ؟

_ السرقة الثانية كانت نتيجة للسرقة الاولى ٠ فقد تحدثت الصحف عن اختفاء المصباح الفضى من بين عدد كبير من التحف الثمينة ٠ فخطر لبعضهم ان يعيد الكرة ويحمل

ما يستطيع حمله من التحف التى تركها اللص الاول .

وقد كانت السرقة الثانية سرقة حقيقية وليست مفتعلة كالسرقة الاولى . وكانت تحمل كل معانى السطو المسلح .

- والسارق هو لوبين بطبيعة الحال .

- كلا .. ان لوبين لا يتصرف بمثل هذا الغبـاء ، لوبين لا يطلق الرصاص جزافا .

- من يكون السارق اذن ؟

- انه بريسون بغير شك .. ولعله فعل ذلك بالاتفاق مع السيدة التى كان يبتز اموالها بطريق التهديد . والتى حملت اليه المصباح الفضى لشراء سكوته .

انه برساك الذى اقتحم هذه الغرفة .. وهو الذى طعن صديقى المسكين وطسون حينما هم بالقبض عليه .

- هل انت واثق من ذلك ؟

- كل الثقة ، فقد كتب اليه أحد شركائه أمس قبل انتحاره رسالة تحدث فيها عن مفاوضات تجرى بينه وبين ارسين لوبين لرد جميع المسروقات بلا استثناء ، أعنى المصباح الفضى والتحف والمجوهرات التى سرقت فى المرة الثانيه .

أضف الى ذلك ان لوبين كان يراقب بريسون . وعندما ذهب هذا الاخير أمس الى ضفة نهر السين تبعه أحد أعوان لوبين كما كنا نحن نتبعه .

- وماذا فعل بريسون عند ضفة النهر ؟

- لابد انه علم اننى أسير بالتحقيق فى طريق النجاح ، وأن ...

فقاطعه البارون :

- وكيف علم ؟ ومن الذى انباه ؟

- نفس السيدة ذات الشأن ، خشيت بحق ان يؤدى اكتشاف سر المصباح الفضى الى افتضاح مغامرتها . فحذرت بريسون الذى خشى أن يؤدى اكتشـاف المسروقات الى ادانته فجمع غنائمه كلها وحزمها وألقاها فى مكان من النهر ، حتى اذا زال الخطر ، عاد والتقطها ..

وأكبر الظن ان لبريسون سوابق فى الاجرام ، لانه ماكاد يعود الى بيته ويشعر بأننى وجانيمار نتعقبه ونهم بالقبض عليه ، حتى جن جنونه ذعرا وهلعا ، فاطلق الرصاص على نفسه .

- ولكن ماذا كان فى الحزمة التى القاها فى النهر ؟

- المصباح الفضى والمسروقات الاخرى .

- اذن فهذه الاشياء ليست معك ؟

- ما أن اختفى لوبين فى النهر حتى انتهزت فرصة الحمام الاجبارى الذى أخذته لابحث فى المكان الذى أودع فيه بريسون الحزمة وقد وجدتها .. وهانتذا تراها على المائدة .

وأشار الى حزمة فوق احدى الموائد . فقطع البـارون الخيط الذى يربط الحزمة ، وأزال قطع الورق والقماش . وأخرج المصباح الفضى ، وأدار قطعة فيه ، وفصلها عن بقية المصباح ، وحينئذ ظهر المخبأ ، فأفرغ البارون محتوياته من الزمرد واللآلىء فوق المنضدة ..

كان الكنز كاملا .. لم تمسه يد .

* * *

الفصل السادس

كان الاجتماع على بساطته ووضوحه ، واقتصاره على سرد وقائع ثابتة يدعمها الدليل والمنطق ، مشحون الجـو

باحتمالات خطيرة مؤلمة ، أثارها الاتهام المباشر الصريح الذى وجهه هولمز فى كل عبارة من عباراته الى الآنسة اليس ديمون .

ومما زاد حرج الموقف ودقته ذلك الصمت المطلق الذى التزمته الفتاة طول الوقت .

وبينما كان هولمز يسرد الوقائع ، ويسوق الادلة ، لم تتحرك عضلة واحدة فى وجه الفتاة ولم يبد على ملامحها شيء من دلائل الاستنكار أو الخوف .. كانت أشبه بتمثال من الرخام لا يتأثر بالعاصفة التى تدور حوله .

ففيم كانت تفكر ؟

وماذا ستقول حين يطلب اليها ان تتكلم ؟ وكيف ستحطم الحلقة الفولاذية التى أحاطها بها هولمز بمهارة ولباقة ؟

وجاءت اللحظة الحاسمة .. ولكن الفتاة لزمت الصمت صاح بها البارون :

- تكلمى .. دافعى عن نفسك .. قولى كلمة واحدة فأصدقك .

ولكنها لم تنطق بهذه الكلمة .

وأخذ البارون يسير فى الغرفة جيئة وذهابا . ويلح على الفتاة ان تتكلم .. ولكن دون جدوى .

وأخيرا التفت الى هولمز وقال :

- الحق اننى لا أستطيع ان صدق .. توجد جرائم مستحيلة ، وهذه احداها ، لأنها تتنافى مع كل ما عرفته عن أخلاقها وسلوكها طيلة عام كامل .

ثم القى بيده على كتف هولمز واستطرد :

- ولكن هل انت واثق تماما من أنك لم تخطىء ياسيدى؟

فتردد هولمز لحظة ، كشخص هوجم فجأة قبل أن يتاهب للدفاع ولكنه عاد فابتسم وأجاب :

- ان الشخص الذى اتهمه ، هو الوحيد الذى كان فى استطاعته بحكم مركزه ان يعرف أن المصباح الفضى يحتوى على هذه المجوهرات النادرة .

فغمغم البارون قائلا :

- لا أستطيع ان أصدق .. لا استطيع .

- سلها اذن .

وكان استجواب الفتاة هو الشيء الوحيد الذى لم يفكر فيه البارون من فرط ثقته بها .. ومع ذلك فقد كان من المستحيل تجاهل كل هذه الادلة الدامغة .

واقترب البارون من الفتاة وسألها وهو ينظر فى عينيها الواسعتين الصريحتين :

- هل أنت التى فعلت ذلك يا آنسة ؟ هل انت التى أخذت المصباح ؟ هل أنت التى اتصلت بأرسين لوبين ودبرت معه موضوع السرقة ؟

فأجابت :

- نعم يا سيدى

ولم تطأطىء الرأس ، ولم يبدو عليها خجل أو ارتباك

فصاح البارون :

- هل يمكن ذلك ؟ اننى لا أصدق .. لقد كنت آخر من ارتاب فيه فكيف حدث ذلك أيتها التعسة ؟

فأجابت :

- لقد فعلت ما ذكره مستر هولمز .. وفى ليلة الاحد تسللت الى هذه الغرفة .. وأخذت المصباح .. وفى الصباح ذهبت به الى ذلك الرجل .

- ولكن هذا مستحيل ، وغير معقول .

- لماذا ؟

ـ لان باب هذه الغرفة كان موصدا من الداخل ، وقد تحققت من ذلك بنفسى فى الصباح ·

فاحمر وجهها ، واضطربت ، ونظرت الى هولمز كأنما لتستنجد به ·

ودهش هولمز لارتباك الفتاة ، وراح يسأل نفسه ، لماذا لا تجيب ؟ ترى هل الاعتراف الذى أفضت به ينطوى على أكذوبة تهدم جميع الادلة التى ساقها ؟

واستطرد البارون قائلا :

ـ هذا الباب كان مغلقا، وأقسم اننى وجدته فى الصباح كما تركته فى المساء ، فاذا كنت قد دخلت من هذا الباب كما تزعمين ، فلابد أن يكون هناك من فتحة لك من الداخل ، لا بد ان يكون هناك من نفذ من المخدع الى هذه الغرفة وفتح لك الباب ·· ولم يكن بالمخدع فى تلك الليلة سواى أنا وزوجتى

* * *

وهنا أطرق هولمز برأسه ، ووضع يديه على وجهه ليخفى احمراره ·

لقد تبلج له فجأة ضوء قوى بهر عينيه ·· وتركه جامدا مذهولا ·

لقد تكشفت له الحقيقة بكل روعتها فجأة وكشف الضوء الساطع عما يخفيه الظلام ·

ان أليس ديمون بريئة ·

أليس ديمون بريئة ···

تلك حقيقة مؤكدة ، يدعمها ذلك الشعور بالقلق الذى كان يحس به فى قرارة نفسه منذ أول يوم وجه فيه هذا الاتهام الخطير الى الفتاة ··

انه يرى الآن بوضوح · وحركة واحدة بسيطة سوف تقدم له الدليل الذى لا يدحض ··

ورفع رأسه بهدوء ، وبطريقة طبيعيـــة ، ونظر الى البارونة ··

كان وجهها ممتقعا ، ويعلوه ذلك الشحوب الذى يكسو وجه الانسان فى أحرج ساعات حياته ··

وكانت تحاول ان تخفى يديها المرتجفتين ··

قال هولمز لنفسه :

ـ لحظة أخرى وتنهار تماما ··

ووقف بين البارونة وزوجها ، فى محاولة يائسة لتجنيب هذين الزوجين الخطر الماحق الذى يهدد سعادتهما بســببه ولكنه ما كاد ينظر الى البارون ، حتى مرت بجسده رعدة شديدة ·· فقد تكشفت للبارون فجأة ، نفس الحقيقة التى تكشفت له ، ورأى نفس الضوء الذى بهره ·

لقد فهم الزوج كل شيء ··

* * *

وأرادت أليس ديمون ـ فى محاولة يائسة ـ أن تقف فى وجه الحقيقة الهائلة التى تبلجت للجميع ·

قالت تحدث البارون :

ـ الحق معك يا سيدى ·· اننى اخطأت ·· والواقع أننى لم أدخلْ من الباب ، وانما دخلت من الحـــديقة عن طريق الشرفة ·· بواسطة سلم ·

كانت محاولة يائسة أملاها الاخلاص والوفاء ، ولكنها محاولة فاشلة ··

وكانت نبرات صوتها تنبىء بكذبها ، فاطرقت برأسها ، ولزمت الصمت ·

وساد سكون مخيف ، ووقفت البارونة فى انتظار مصيرها المحتوم ، كما يقف المحكوم عليه بين يدى الجلاد .

وظهرت على وجه البارون آثار الزوبعة التى تعصف فى جمجمته ..

لم يشأ أن يصدق ان سعادته العائلية قد انهارت على هذا النحو . وبمثل هذه السرعة ..

وأخيرا صاح بزوجته :

ـ تكلمى .. أوضحى ..

فأجابت بصوت خافت ، والالم يكسو وجهها :

ـ ليس عندى ما أقوله يا صديقى المسكين ..

ـ اذن فالآنسة ...

ـ الآنسة حاولت ان تنقذنى .. بدافع العطف والوفاء، انها اتهمت نفسها ..

ـ تنقذك مم ؟ وممن ؟

ـ من ذلك الرجل .

ـ بريسون ؟

ـ نعم .. كان يهددنى .. لقد قابلته فى بيت احدى صديقاتى ، وكنت من الحماقة بحيث صدقت كلامه المعسول وأؤكد لك أنه لم يكن بينى وبينه ما أخجل من ذكره .. لقد كتبت اليه رسالتين .. رسالتين سأطلعك عليهما .. فقد اشتريتهما منه .. وأنت تعرف كيف اشتريتهما .. أواه .. رحمة بى .. فقد تألمت كثيرا .

ـ أنت .. أنت يا سوزان !!

ورفع قبضة يده ، وهم بأن يهوى بها على رأسها ..

هم بأن يقتلها .. ولكنه عاد فأمسك ، وسقط ساعده بجواره وغمغم مرة أخرى :

ـ أنت .. انت يا سوزان !! هل يمكن هذا ؟

وفى عبارات مبتورة ، وصوت حزين ، راحت البارونة تسرد قصتها مع ذلك الرجل السافل ، وتصف عذابها وآلامها ووخز ضميرها ، وتحدثت عن أليس ديمون واخلاصها ، وكيف أن الفتاة أحست بيأسها فاستدرجتها فى الحديث حتى عرفت منها الحقيقة ثم كيف تطوعت أليس ديمون بالكتابه الى أرسين لوبين ، وكيف انتهى الرأى الى شراء سكوت بريسون بالمصباح الفضى ، على أن يستر دلوبين المصباح فيما بعد ، ويعيده الى مكانه .

فردد البارون ، وقد أثقلت الكارثة كاهله :

ـ انت يا سوزان .. أنت !! كيف وجدت الجرأة ..

الفصل السابع

فى مساء ذلك اليوم، كانت الباخرة (لندن سيتى) تشق طريقها من (كاليه) الى (دوفر) فى بحر هادىء مظلم .. وكان أكثر المسافرين قد أووا الى مخادعهم أو الى صالون الباخرة .. بينما راح القليلون يذرعون سطح الباخرة ، أو يعالجون النوم فى مقاعدهم تحت قبة السماء ، ولم يكن يرى وسط الظلام سوى وهج لفافات التبغ هنا وهناك ..

وسار أحد المسافرين على ظهر السفينة بخطى منتظمة، توقف أمام فتاة تمددت على أحد المقاعد ، وانتظر قليلا حتى رآها تتحرك فقال لها :

ـ ظننتك نائمة يا آنسة أليس

ـ كلا يا مستر هولمز . فليست بى رغبة الى النوم .. لقد كنت أفكر ...

ـ هل أكون متطفلا اذا سألتك فيم تفكرين ؟

ـ كنت أفكر فى البارونة دمبلفال .. لابد أنها الان حزينة فقد انتهت حياتها .

فأجابها هولمز بحدة :

ـ لا أظن ذلك .. ان خطيئتها ليست مما لايمكن اغتفاره .. وسوف يغفر لها البارون هفوتها .. لقد لاحظت فعلا عند رحيلنا ان نظراته كانت أقل صرامة .

ـ ربما .. ولكن النسيان يتطلب وقتا طويلا .. وسوف تتألم البارونة وتشفى .

ـ هل تحبينها كثيرا ؟

ـ أكثر مما تتصور . ومن هذا الحب كنت استمد القوة للابتسام وأنا ارتجف هلعا وللنظر فى وجهك حين كان ينبغى أن أشيح بوجهى .

ـ وهل انت حزينة لفراقها ؟ .

ـ حزينة الى أقصى حد .. ليس لى أب أو أم أو صديق .. لم يكن لى سواها .

ـ سوف تجدين فى لندن كثيرا من الاصدقاء .. ان لى معارف كثيرين فى أرقى الاوساط ، وسوف ترضين عن العمل الذى سألحقك به .

ـ ربما .. ولكن البارونة لن تكون حيث اعمل ..

❊ ❊ ❊

وساد بينهما صمت عميق ، وبددت الريح السحب المظلمة التى كانت تحجب وجه القمر ، فأخرج هولمز غليونه، وحاول ان يشعله ، ولكن الريح أطفأت أعواد الثقاب الاربعة التى كانت معه ، فتحول الى مسافر يجلس على مقعد قريب وسأله :

ـ هل أجد معك عود ثقاب ؟

فأخرج المسافر من جيبه (ولاعة) أشعلها وعلى ضوئها، رأى هولمز وجه أرسين لوبين ..

ولولا ان الانجليزى أجفل قليلا لظن لوبين انه كان يعلم بوجوده على ظهر السفينة ..

كانت تلك الاجفالة غير الملحوظة ، هى كل ما بدر من هولمز ، وفيما عداذلك فقد ظل البوليس السرى الانجليزى محتفظا بهدوئه وبروده ..

قال وهو يمد يده الى غريمه :

ـ الا زلت فى صحة جيدة يا مسيو لوبين ؟

فهتف لوبين وقد أعجبه هدوء الانجليزى وسيطرته على أعصابه :

ـ برافو

ـ برافو ؟ ولماذا ؟

ـ اتسألنىّ لماذا وأنت ترانى اظهر أمامك كالشبح بعد ان شهدت غرفتى فى نهر السين .. فلا يبدو عليك شىء من دلائل الدهشة أو العجب ..

حقا ان البرود الانجليزى خليق بالاعجاب .

ـ ليس ثمة ما يدعو الى الدهشة .. فان طريقة سقوطك

من القارب دلتنى على أنك اسقطت نفسك وعلى ان الرصاصة لم تصبك .

ــ وهل طاوعك قلبك على الرحيل قبل أن تعرف مصيرى ؟

ــ اما مصيرك فقد كنت أعرفه .. كان هناك نحو خمسمائة شخص على ضفتى النهر فى مدى كيلو متر واحد فاذا نجوت من الموت فلابد ان تعتقل .

ــ ومع ذلك هأنذا ..

ــ اصغ الى يا مسيو لوبين ، يوجد فى هذه الدنيا شخصان لا يدهشهما شىء .. أنا أولا .. ثم أنت .

وهكذا ساد الوئام بين الرجلين .

* * *

واذا كان هولمز قد عجز عن اعتقال لوبين ، فانه على الاقل قد استطاع استرداد المصباح الفضى .. على ان انتصاره فقد الكثير من روعته ــ فى نظر الجمهور ــ بسبب اضطراره الى اخفاء الظلوف التى مكنته من استرداد المصباح . واضطراره بالتالى الى كتمان اسم الجانى .

ذلك من وجهة النظر العامة .

أما فيما بين هولمز ولوبين ، بين رجل البوليس واللص، فلم يكن هناك غالب أو مغلوب ..

كان لكل منهما نصيبه من النصر .

وقص لوبين على هولمز قصة فراره فقال :

ــ كان الامر غاية فى البساطة .. بعد أن قضيت نحو نصف ساعة تحت القارب المقلوب ، انتهزت فرصة انطلاق

فولنفان ورجاله للبحث عن جثتى على طول الشاطىء وصعدت الى ظهر القارب ..

وكنت على موعد مع رجالى للبحث عن المصباح الفضى فى النهر ، فمروا بزورقهم البخارى والتقطونى .. وانطلقوا بى أمام خمسمائة شخص ، وتحت أنظار جانيمار وفولنفان .

فصاح هولمز :

ــ هذا بديع حقا .. والان .. هل لك عمل فى انجلترا ؟

ــ نعم .. لى حساب أريد تصفيته .. ولكن ماذا فعل البارون ؟

ــ لقد علم بكل شىء ..

ــ ألم أقل لك ذلك منذ البداية يا أستاذى العزيز ؟ ان الضرر الذى حدث لايمكن اصلاحه .. أما كان يجدر بك ان تدعنى أعالج الموقف بالطريقة التى أراها ؟ لو أنك تأخرت يوما أو يومين لاسترددت المصباح الفضى والمسروقات الاخرى وأعدتها الى البارون ، ولعاش الزوجان فى سعادة بقية حياتهما . اما الان ..

فضحك هولمز وقال :

ــ أما الان فاننى بذرت بذور الخلاف والشقاء فى أسرة تظلها بحمايتك .

ــ يا الهى !! ولم أظلها بحمايتى ؟ هل يجب ان يقتصر نشاطى على السرقة والاذى ؟

ــ هل أفهم من ذلك انك تفعل الخير فى بعض الاحيان ؟

ــ اننى أفعل الخير كلما وجدت الى فعله سبيلا، ولعل من أعجب الامور فى هذا الحادث الذى نحن بصدده ، اننى قمت فيه بدور ملاك الخير الذى يصنع المعروف ويحمل

النجدة والغوث .. بينما قمت أنت بدور ملاك الشر الذى يجلب اليأس والشقاء والدموع .

- الدموع ؟

- نعم .. لقد قوضت سعادة أسرة دمبلفال وأبكيت أليس ديمون .

- كان من المستحيل على الآنسة اليس ديمون أن تبقى، ولو أنها بقيت لاكتشف جانيمار الحقيقة ولافتضحت البارونة.

- هل هذا صحيح .. ولكن من المخطىء ؟

* * *

ومر بهما فى هذه اللحظة رجلان ، فقال هولمز فى جفاء:

- هل تعرف هذين الرجلين ؟

- ان أحدهما فيما اعتقد هو قبطان الباخرة .

- والآخر ؟

- لا أعرفه .

- انه مستر أوستن جيليت ، الذى يشغل فى انجلترا مثل منصب مسيو ديدوى مدير الامن العام فى فرنسا .

- يا لها من مصادفة سعيدة !! هل لى فى ان تقدمنى الى مستر جيليت ؟ ان مسيو ديدوى من أعز أصدقائى .. وسوف يسعدنى ان أقول مثل ذلك عن مستر جيليت .

فنهض هولمز وهو يقول :

- واذا أخذتك بكلمتك يا مسيو لوبين ؟

وقبض على ساعد لوبين بيد من حديد فصاح لوبين :

- لماذا تمسك بى بهذه الشدة ؟ اننى على استعداد لان اتبعك.

وسار معه دون أن يبدى أية مقاومة ، ولكن هولمز لم يفلت ساعده .

وكان الرجلان قد ابتعدا ، فأوسع هولمز الخطى وصاح بلوبين :

- أسرع . اسرع .

ولكنه لم يلبث ان توقف فجأة ، فقد رأى اليس ديمون تسير معهما ..

قال لهـا :

- ماذا تفعلين يا آنسة ؟ عودى الى مكانك وسوف الحق بك .

فأجابه لوبين :

- يجب ان تلاحظ يا أستاذى العزيز أنها لا ترافقنـا طواعية واختيارا .. اننى ممسك بها بنفس الشدة التى تمسكنى بها ..

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لاننى أصر على تقديمها الى مستـــر جيليت مثلى .. ان دورها فى حادث المصباح الفضى أهم من دورى. لقد كانت شريكة لوبين وشريكة بريسون: وسوف يتعين عليها كذلك ان تسرد قصة البارونة .. وهى قصة تهـم العدالة .. وبذلك يكون تدخلك قد أعطى كل ثمراته الطيبة أيها الرجل الكريم ..

فترك هولمز ساعد لوبين ، وترك لوبين ساعد الفتاة.. ووقف ثلاثتهم لحظة لايبدون حراكا .. ثم عاد هولمز الى مقعده ، وتبعه لوبين والفتاة .

وساد بينهم صمت عميق ، قطعه لوبين أخيرا بقوله :

– أرأيت يا أستاذى العزيز اننا مهما صنعنا فلن نقف فى صعيد واحد . ان بيننا هوة عميقة .. فى استطاعتنا أن نتصافح وأن نتحدث لحظة .. ولكن الهوة تفصل بيننا دائما .. وستظل انت شرلوك هولمز البوليس السرى ، وأنا أرسين لوبين اللص .

سيظل شرلوك هولمز يعمل بغريزة البوليس السرى ، فينقض على اللص حالما يراه ، وسيظل أرسين لوبين أمينا مع نفسه كلص ، تدفعه الغريزة الى تجنب البوليس السرى والى الهزؤ به ما استطاع الى ذلك سبيلا .. وما حدث بيننا الان يدخل فى باب (ما استطاع الى ذلك سبيلا) .

وانفجر ضاحكا ضحكة قاسية .. ثم أمسك فجأة وانحنى نحو الفتاة وقال يحدثها :

– ثقى يا آنسة باننى ما كنت لاشى بك مهما كانت الظروف ومهما نزل بى من محن ، ان أرسين لوبين لايخون أحدا وخاصة أولئك الذين يحبهم ويعجب بهم .. واسمحى لى بأن أقول لك اننى أحب شخصك العزيز وأعجب بشجاعتك ووفائك .

قال ذلك وأخرج من جيبه بطاقة مزقها نصفين . قدم احدهما الى الفتاة واستطرد قائلا بصوت ينم عن الاحترام:

– اذا فشل مستر هولمز فى محاولاته وعجز عن ان يجد لك عملا ، فاذهبى الى الليدى سترونجبورو (ومن السهل عليك معرفة عنوانها) وقدمى لها نصف البطاقة وقولى لها هاتين الكلمتين (هدية اخلاص) فتصبح لك أكرم من أخت وأعز من أم .

فقالت الفتاة :

– شكرا لك ، سأذهب غدا الى هذه السيدة .

وهنا صاح لوبين بارتياح من أدى واجبا :

– والان يا أستاذى العزيز .. أرجو لك ليلة سعيدة ونوما هنيئا .. لاتزال أمامنا ساعة قبل الوصول الى الشاطىء الانجليزى .. وسأحاول الافادة من هذه الساعة.

قال ذلك ومدد ساقيه ، وعقد يديه خلف رأسه ، واستغرق فى النوم .

* * *

القسم الثانى

مجوهرات الدوق نورفولك

سأل روجر صاحبه لوبين :

هل أنت واثق من أنك اكتشفت الرموز السرية التى تتفاهم بها ادارة البنك مع فروعه ؟

فابتسم لوبين وأجاب :

– كن مطمئنا يا عزيزى روجر .. فاننى أوصلت تليفونى بالسلك الرئيسى واستطعت الوقوف على جميع المخابرات التليفونية التى دارت بين البنك وفروعه خلال الاسبوعين الاخيرين .. ان بنك (جنوب لندن) هو البنك الذى يلجأ الى التخاطب مع فووعه بالرموز تفاديا لكل تلاعب فى المخابرات يؤدى الى ضياع أموال المودعين .

– وماذا فى نيتك ان تفعل الآن ؟

– اننى بعثت الى جميع فروع البنك الثلاثة عشر خطابات اعتماد بأن يدفع كل فرع منها الى المدعو صموئيل رانويل

مبلغ مائة جنيه وقد استخدمت فى هذه الرسائل أوراقا عليها اسم البنك ٠٠ وزورت عليها توقيع مستر (هارلدن) مدير البنك الرئيسى ٠

ـ الا يحتمل ان ترتاب بعض فروع البنك فى خطاب الاعتماد ؟

ـ لا أظن ذلك ٠٠ فقد اتخذت جميع الاجراءات اللازمة لكى تبدو هذه الخطابات حقيقية لا لبس فيها ولا غموض٠

وارتدى لوبين معطفه المصنوع من الفرو الثمين ٠ وهم بالانصراف فقال له روجر :

ـ الا تصحبنى معك ؟

ففكر لوبين لحظة ثم أجاب :

ـ اننى سأنطلق بالسيارة ٠ فاذا شئت ٠٠

ـ أنا على استعداد لقيادة السيارة ٠

وأسرع روجر فارتدى معطفه بدوره ٠ ووضع على رأسه قبعة منخفضة كقبعات سائقى السيارات ٠ وخرج الاثنان ٠٠

فسأل روجر صاحبه بلهجة تناسب المقام :

ـ الى أين أذهب بك يا سيدى ؟

فأجاب لوبين :

ـ الى فرع بنك (جنوب لندن) فى (فوكسهول) ٠

وما هى الا دقائق معدودات حتى وقفت السيارة بباب البنك وهبط منها لوبين وقصد لتوه الى موظف الخزانة ٠ وقال له :

ـ اننى ادعى صموئيل راتويل ٠

فصعده الموظف بعينيه ٠ ثم قدم اليه دفترا فكتب به لوبين اسم « هارى رولف صموئيل راتويل » ثم وقع تحت

هذا الاسم بامضاء معقدة لا يعرف لها أول من آخر ٠

وقارن الموظف بين هذه الامضاء ٠٠ والامضاء المسجلة بخطاب الاعتماد ٠٠ واطمأن الى التشابه التام بينهما ٠٠ ثم سأل لوبين :

ـ كم تطلب يا سيدى ؟!

فأجاب لوبين بقلة اكتراث :

ـ ألفا من الجنيهات كما هو مذكور فى خطاب الاعتماد٠

فنقده الموظف المبلغ دون أن ينطق بكلمة ٠٠ وشكره لوبين وانصرف ٠٠

وابتسم روجر حين رأى صاحبه يخرج من البنك وهو هادىء ثابت الخطوات ٠٠

قال له لوبين :

ـ والان ٠٠ هلم بنا الى فرع البنك (كلابهام) ٠٠

وقد حدث فى الفرع الثانى ما حدث فى الفرع الاول٠ فحصل لوبين على الالف من الجنيهات دون أن يلقى أية صعوبة

وقصدا بعدئذ الى فرع البنك فى « بلهام » و« ستريتهام»

ولما دخل لوبين الفرع العاشر ٠٠ أخذ روجر يحصى أرباح اليوم فوجد انها بلغت تسعة آلاف من الجنيهات ٠٠ قال لنفسه :

ـ الحق أن هذا مبلغ لا بأس به

وفجأة احس بيد ثقيلة على كتفه ٠٠ فنظر حوله ٠٠ ورأى رجلا فى ثياب البوليس لم يشك لحظة فى أنه أحد مفتشى الشرطة ٠

وذعر روجر ٠٠ واسقط فى يده ٠٠ ولكنه بذل قصارى جهده حتى لا يتخاذل ٠

سأله مفتش البوليس :

ـ هل تعرف من أنا ؟؟

فأجابه روجر :

ـ لم أتشرف قبلا بمعرفتك ..

ـ اننى « ماكنزى » مفتش بوليس سكوتلانديارد ..

ـ يؤسفنى اننى لم أسمع باسمك قبلا .

فعض مفتش البوليس على شفتيه وسأل ::

ـ هل تستطيع ان تنبئنى لمن هذه السيارة ؟!

ففكر روجر لحظة .. ثم أجاب :

ـ انها سيارة سيدى ..

ـ آه .. ومن هو سيدك ؟

ـ انه صاحب هذه السيارة يا سيدى المفتش ..

فابتسم مفتش البوليس وقال :

ـ يخيل الى انك شاب خفيف الروح .. ولكن لنتحدث فى الموضوع .. لقد اتصلت سبعة فروع من فروع بنك « جنوب لندن » بادارة البنك .. وطلب كل فرع منها الى ادارة البنك ان تخصم لحسابه مبلغ ألف جنيه دفعت لشخص معين .

وبرجوع البنك الى دفاتره . ثبت له انه لا يوجد بين مودعيه اسم ذلك الشخص .. فاخطرنى بذلك .. ولما كنت أعلم انه لايوجد من يقدم على مثل هذا العمل الجرىء غير لوبين ..

فهتف روجر متصنعا الدهشة :

ـ لوبين ؟ ومن هو لوبين هذا ؟

فهز ماكنزى كتفيه وقال :

هو شخصية معروفة فى عالم الاجرام .. شخصية لم يعرفها الجمهور الانجليزى بعد . ولكن لها فى ادارة البوليس « ملفا » حافلا بجليل الاعمال .

ـ لوبين ؟! اسم ظريف . ولكننى أؤكد لك أن سيدى يدعى راتويل ، لا لوبين .

وكان مفتش البوليس يعرف ان راتويل هو اسم الرجل الذى استولى على المال من البنوك ، وقد أدرك سائق السيارة لا يريد غير اضاعة الوقت ليمكن راتميل من الفرار فأومأ الى اثنين من رجال الشرطة وأصدر اليهما أمرا فنزعا روجر من مكانه ودخلا به منزلا مجاورا .

ولحق بهم ماكنزى وقد تفتق ذهنه عن حيلة فذة لاعتقال لوبين بأسرع ما يمكن فنزع عن روجر معطفه وقبعته . وارتداهما ثم عاد الى السيارة وجلس فى مقعد السائق .

وما هى الا لحظة حتى فتح باب البنك وخرج منه لوبين وقصد توا الى السيارة وأمر السائق دون أن ينظر الى وجهه :

ـ والآن . هلم بنا الى فرع البنك فى (كاتفورد) .

فأومأ ماكنزى برأسه علامة الطاعة وأجاب وهو يضحك فى سره .

ـ حسنا .

وانطلق بالسيارة وهو واثق من النصر العاجل .

وغاب عنه انه ارتكب غلطة فاحشة حين نطق بكلمة (حسنا) فقد حملق لوبين الى مؤخر رأسه بحدة حين سمع هذه الكلمة . ثم مرت على شفتيه ابتسامة ذات معنى .

* * *

وانطلق ماكنزى بالسيارة كالسهم غير عابىء بلوائح المرور وصيحات رجال البوليس فقتل فى طريقه جوادا ، وقلب احدى مركبات النقل ، ولكنه لم يتوقف لحظة واحدة، لعلمه ان الوقوف معناه فرار العصفور من القفص .

وانتهى ماكنزى بالسيارة الى باب سكوتلنديارد (ادارة البوليس) فهناك فقط أوقف المحرك ، ووثب من مقعده وفتح باب السيارة وقال بلهجة الساخر :

- والآن تفضل بالنزول يا مسيو لوبين .

ولكن باب السيارة لم يكد يفتح حتى انبعثت منه سحب كثيفة من دخان أصفر خانق ما كاد يصل الى رئتى مفتش البوليس حتى راح يسعل بقوة ، وأغرورقت عيناه بالدموع .

وكان بعض رجال المرور قد لحقوا به على الموتوسيكل، فوصلوا فى تلك اللحظة ، وعرفوا فى ذلك السائق الجرىء مفتش البوليس ماكنزى . فخفوا الى نجدته . وراحوا يطردون سحب الدخان الاصفر الخانق بكل وسيلة ممكنة ومفتش البوليس يصيح بلا انقطاع :

- أريد هواء ، هواء ، اننى اختنق .

ولما انقشعت سحب الدخان نهض ماكنزى من مكانه ، وأطل داخل السيارة ولكنه لم ير بداخلها أحدا .

كان كل ما وجده فى أرض السيارة هو عبارة عن أنبوب صغير كان الدخان لا يزال ينبعث منه ببطء .

أما لوبين . فانه اختفى . تبخر .

وأجال الطرف حوله باحثا عن غريمه بعينين زائغتين . ولكنه لم يقع له على أثر .

* * *

لم يشعر لوبين بالاضطراب أو الانزعاج حين أدرك ان سائق السيارة هو ماكنزى . وكان يعرفه حق المعرفة ويعلم أنه زميل المفتش تيل ويحل محله أثناء غيابه فتريث حتى اقتربت السيارة من (سكوتلنديارد) وأخرج م جيبه أنبوبا كان يحتفظ به دائما للطوارىء ، وكان هذا الانبوب يحتوى على مسحوق اكتشف حديثا يسمى (ارومال) من مزاياه أنه اذا الهب بعود ثقاب أو وضعت فوقه لفافة تبغ مشتعله ان يستحيل فى التو واللحظة الى دخان أصفر كثيف خانق . يتعذر على الانسان ان يستنشقه .

فلما اقتربت السيارة من ادارة الشرطة . أدنى لوبين لفافة التبغ من فوهة الانبوب وانتظر حتى انبعثت منها الادخنة ، وفى هذه اللحظة كان ماكنزى قد أوقف محرك السيارة ، وفتح بابها ليأمر لوبين بالخروج .. فانتهز هذا فرصة هبوط سحب الدخان على وجه ماكنزى ، وتسلل من الباب الآخر للمركبة ، ولم يكن رجال المرور الذين طاردوا السيارة قد وصلوا بعد .. فاندمج لوبين بين جمهور المارة وغاب عن الابصار .

وبعد ربع ساعة . هبط لوبين من احدى سيارات الاجرة أمام الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » فى (بروميلى)

وكان قد فكر فى أثناء الطريق فى كيفية اهتداء ماكنزى الى سيارته .. فاعتقد ان مفتش البوليس لابد قد عرف السيارة بطريق الاتفاق . ولم يخطر له ببال أن لسان روجر قد زل فكاد ذلك أن يؤدى الى القبض عليه .

على أن الخطر الذى استهدف له لم يحمله على الاحجام عن المضى فى مغامرته الجريئة الى النهاية ، فدخل ادارة الفرع

الحادى عشر للبنك . وقصد لتوه الى موظف الخـــزانة ، وقال له :

- أنا أدعى صموئيل راتويل

يبدو انه لم يكد ينطق بهذا الاسم حتى حملق الموظف فى وجهه بذعر وصرخ :

- النجدة ، الغياث ، اللص ، المحتال ..

وأدرك لوبين فى الحال ان ادارة البنك لابد قد اتصلت بباقى الفروع وحذرتها منه .

وقد رن فى الحال جرس الخطر ، فدب الذعر فى المكان ، وبأسرع من لمح البصر اغلقت أبواب البنك ، وأخرج الحراس مسدساتهم ووقفوا على استعداد .

وساد الهرج بين المودعين وعملاء البنك وعماله ، واراد لوبين ان يقوم بمحاولة أخيرة للافلات ، فاطلق نحو الباب الخارجى ولكنه وجده مغلقا ، ورأى أمامه أحد رجال الشرطة شاهرا مسدسه .

قال له الحراس :

- ان الخروج ممنوع الان يا سيدى .

فهتف لوبين مستنكرا :

- ما معنى هذا ؟! الا يستطيع رجل محترم أن يدخـــل احد مصارف لندن دون ان يجد نفسه مهددا برصـــاص المسدسات .

فأجابه الحارس :

- ان الاوامر التى صدرت الى صريحة ، ولكن هاأنذا أرى من النافذة المفتش ماكنزى مقبلا بسيارة البوليس ومعـه

ستة من رجاله فاطمئن يا سيدى .. سوف يسمح المفتش لجميع العملاء بالانصراف .

وفتح باب المصرف على الاثر .. ودخل ماكنزى وهو يصيح :

- هل قبضتم عليه ؟!

وهنا صاح موظف الخزانة وهو يشير الى لوبين بين الموجودين :

- ها هو .. ها هو .

وأطبق رجال البوليس على لوبين . ولكنه ردهم عن نفسه بقبضة يده . ولكماته القوية . وتخلص من بين أيديهم وانطلق يعدو على غير هدى .. ووجد أمامه دهليزا فوثب اليه . واجتازه بسرعة .. ولما وصل الى نهايته . برز له رجل طويل القامة نحيل الوجه وصاح به :

- عد بحق السماء . عد من حيث أتيت . لا أحد يمر من هنا .

ولكن لوبين دفعه بيده دفعة القته على الارض . واندفع الى الامام . بيد أنه ما لبث ان وجد أمامه بابا مغلقا .

كان الموقف شديد الحرج ..

نهض الرجل من سقطته وصاح بلوبين :

- من أنت يا رجل . وماذا تفعل هنا ؟ عد من حيث أتيت .. اننى أمرك بأن تعود .. اننى مدير هذا البنك .

فهتف لوبين :

- أنت مدير البنك ؟ ويا للحظ الحسن !!!

وأحاط الرجل باحدى يديه ليمنعه من الحركة .. وراح بيده الاخرى يفتش جيوبه حتى عثر بحلقة من المفاتيح ..

فاخذ يجربها فى قفل الباب بسرعة .

وأنه يفعل ذلك .. اذا به يسمع وقع خطى رجال البوليس وهم يقتربون فى الدهليز .. ولكنه استطاع ان يفتح الباب فى الوقت المناسب .. فمر منه ثم أعاد غلقه .. واخرج من جيبه مصباحا كهربيا أضاءه لينير له الطريق.

وجد نفسه عند قمة سلم يؤدى الى سرداب مصفح يحتفظ فيه البنك بالسبائك الذهبية فهبط السلم بسرعة .. وراح يبحث فى السرداب عن مخرج ..

وفجأة .. ارتطمت قدمه بشىء .. فانحنى ليراه .. ومسه بيده .. فاذا هو جسم انسان ممدد على الارض ..

استولى عليه الفزع .. وصوب نور المصباح نحو ذلك الجسم .. فالفاه جثة رجل قد شوهت تشويها بشعا !!

وفى ذات اللحظة .. كان ماكنزى ورجاله قد بلغوا الى الباب الذى أوصده لوبين فراحوا يقرعونه بعنف ..

وفجأة قال أحد رجال البوليس محدثا ماكنزى :

- ألم تسمع شيئا يا سيدى المفتش ؟

فأرهف ماكنزى اذنيه وقال :

- نعم .. نعم .. يخيل الى أننى سمعت صوت طلق نارى ..

وأمر ماكنزى فجىء له بمطرقة راح هو ورجاله يعالجون بها الباب حتى تحطم ..

واندفع المفتش الى الداخل فى مقدمة رجاله .. ولكنه لم يكد يهبط السلم المؤدى الى السرداب .. حتى سمع صرخة مدوية .. ثم ساد صمت عميق ..

قال ماكنزى :

- لابد ان حادثا وقع فى القبو .

وهبط السلم مسرعا .. وتبعه رجاله . وقد وصلت الى آذانهم حشرجة كحشرجة المحتضر كانت تنبعث من جوف القبو .

صاح ماكنزى :

- أضيئوا المصابيح .

فأضيئت المصابيح فى الحال .. ووقعت أبصار القوم على منظر جعل الدماء تجمد فى عروقهم .

رأوا فى وسط القبو جثة ممدة فى بحيرة من الدماء .

فصرخ مدير البنك وكان قد تبع رجال البوليس :

- يا الهى .. ماهذا ؟!

وجثا المفتش ماكنزى بالقرب من الجثة وفحصها ..

كانت جثة لوبين بلا أدنى شك .. وقد تلوث معطفه الثمين بالدم - كما تلوث وجهه ويداه - وكان موضع الرصاصة التى أودت بحياته ظاهرا فى جمجمته .

قال ماكنزى :

- انه لوبين بعينه ..

ورفع مفتش البوليس قبعته احتراما لجثة ذلك الغريم القوى .. وانه لايزال ينظر الى الجثة بمزيج من الاشفاق والالم اذا بأحد رجال البوليس يصيح ..

- هنا جثة رجل آخر ..

فهرول ماكنزى ورجاله الى حيث اشار الشرطى ..

ورأى أمامه جثة رجل قد شوه وجهه تشويها بشعا .. فركع بجانبها . وشرع فى تفتيش ثيابها .. ولكنه لم يعثر بها على أى شىء أو أية قصاصة ورق تثبت شخصية صاحب الجثة

كذلك لم يستطيع ماكنزى رغم الجهود التى بذلها أن يعثر على أى منفذ سرى فى جدران القبو .

قال له مدير البنك متوسلا :

ـ هذا مخيف يا سيدى .. لص خطير يقتل أو ينتحر فى قبو البنك وجثة تنقل من الخارج الى هذا القبو .. هذا مخيف ياسيدى .. ان سمعة « البنك » أصبحت فى خطر .

فأجابه ماكنزى :

ـ كن مطمئنا يا سيدى .. سنبذل قصارى جهدنا لاماطة اللثام عن هذه الاسرار .

وفى هذه الاثناء .. كان أحد رجال البوليس قدانطلق لدعوة أحد الاطباء . فاقبل الطبيب وفحص جثة الرجل المجهول .. ثم هز كتفيه وقال :

ـ انه قتل بطعنات خنجر .

ثم فحص جثة لوبين وهز رأسه وقال :

ـ وهذا يضا قد مات .. ولكن ما هذه الجرائم ؟! وكيف حدثت ؟

فقال ماكنزى :

ـ اننى على استعداد للنزول عن عشرة أعوام منعمرى لكى أعرف كيف حدث كل هذا .. وكأنما قد أراد هذا الشقى لوبين أن يضايقنى حتى بعد موته .

وفجأة .. خطر للمفتش ماكنزى خاطر فشرع فى تفتيش القبو مرة أخرى . ثم هز رأسه وغمغم قائلا :

ـ لا شىء ..

فسأله مدير البنك :

ـ ماذا تعنى ؟

فاجاب ماكنزى :

ـ كنت أعتقد ان لوبين انتحر .. ولكنى لم أجد أثرا للمسدس الذى انتحر به ..

ولما يئس ماكنزى من الوقوف على أثر جديد يرشده الى حقيقة الفاجعة المزدوجة التى وقعت فى القبو . أمر بنقل الجثتين الى احدى غرف البنك .. تمهيدا لنقلهما نهائيا بعد انصراف العملاء والمودعين .. وقد نقلت الجثتان فعلا .. وترك ماكنزى احد رجاله لحراستهما .

وضعت جثة لوبين على طاولة صغيرة بجانب الجثة التى لم يعرف صاحبها .. وأخذ حارس الجثتين يسير فى الغرفة جيئة وذهابا وهو شديد التبرم بمهمته .

وفجأة . وقف الحارس وراح يحملق نحو الطاولة بعينين مفتوحتين فى دهشة وذعر .

ذلك انه خيل اليه أنه يرى احدى الجثتين تتحرك . ففتح فمه لكى يصرخ ولكن صوته احتبس فى حنجرته . ولم يستطع حراكا كأنما قد سمرت قدماه بالارض .

لم يكن لدى الحارس ثمة شك فى أن لوبين قد تحرك فوق الطاولة التى مدد عليها .

والواقع . أن صدر لوبين أخذ يرتفع ويهبط فى هدوء . ثم تحرك ساعداه . ونهض فجلس على الطاولة وحدج الشرطى المكلف بالحراسة بنظرة جعلت الدم يجمد فى عروقه .

فسقطت من يده العصا الثقيلة التى كان يحملها . ولاذ بالفرار من الغرفة وهو يرسل صيحات ذعر وفزع . فضحك لوبين . ثم راح يسير فى الغرفة جيئة وذهابا ويحرك ساعديه وساقيه بقوة ليكسب عضلاته شيئا من المرونة . ولينشط

الدورة الدموية فى جسده .

ثم فتح باب الغرفة .. وانصرف منه . فصادفه أحد موظفى البنك . ورآى وجهه الملطخ بالدماء . فذعر بدوره وولى الادبار وهو يصرخ فى رعب .

وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة وانصرف الجمهور من المصرف . وأغلق باب المصرف الخارجى ولم يبق غير بعض موظفى البنك . وهؤلاء كانوا بدورهم يستعدون للانصراف .

وأجال لوبين الطرف حوله فى صالة البنك الكبرى .. فلم يجد من رجال البنك غير موظف الخزانة . وكان الرجل قد شغل بتصفية حساباته . فلم ير لوبين وهو يفتح الباب الداخلى .. ويقترب منه .

سأله لوبين بصوت أجوف :

- ألا زلت تشتغل حتى هذه الساعة ؟

فرفع الرجل رأسه . ورآى محدثه . فنهض من مقعده فى ذعر وصرخ :

- يا الهى .. من أنت ؟

فأجابه لوبين وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

- لقد قلت لك قبل الآن ان اسمى صموئيل راتوبل . ولكن ذلك لا يهم كثيرا فى الوقت الحاضر . المهم أن أعلم كم يوجد فى خزانتك من النقود ؟

فهتف الرجل :

- لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .

- مما يؤسف له الا توجد فى خزانة مصرف كبير كهذا نقود على الاطلاق .

ومد يده ففتح باب الخزانة . والقى ببصره الى داخلها

.. وهتف :

- يا اللهى .. مائة .. ألف .. خمسة آلاف . عشرة آلاف .. أربعين ألفا من الجنيهات !! هذا مبلغ بديع . ولكن حدثنى يا سيدى هل يتأثر مركز البنك من الناحية المالية اذا أنا أخذت عشرين ألفا من هذه الاربعين ؟ أؤكد لك اننى بحاجة الى شىء من النقود .. سيما وان المفتش ماكنزى قد استولى على المبلغ الذى قضيت طيلة النهار فى تحصيله . فمن الواجب اذن أن أنال تعويضا .

ثم دس رزم الاوراق المالية فى جيبه . واستطرد قائلا لموظف الخزانة بلهجة مخيفة :

- الساعة الآن الخامسة .. فلا تتحرك من مكانك هذا قبل الساعة السادسة هل فهمت .

وترك الرجل جامد الحركة فى مكانه .. وسار فى بهو صادفه .. وخيل اليه وهو فى طريقه أنه يسمع جدلا بين شخصين .. ولا حظ ان الاصوات صادرة من غرفة معينة .. فاقترب من بابها . وانصت جيدا فسمع شخصا يقول :

- اننى مكلف رسميا بنقل مجوهرات دوق نورفولك الى المعرض غدا وحراستها ..

فوقف لوبين فى مكانه .. وطافت بذهنه خواطر عدة . ثم انحنى قليلا .. وأرسل بصره الى داخل الغرفة من خلال ثقب المفتاح ورأى فى الداخل ما جعله يحبس أنفاسه . ولكنه لم يلبث ان هز كتفيه .. ومضى فى سبيله الى المغسل .. فأزال أثر الدماء عن وجهه ويديه .. ونظف معطفه . وغادر البنك من الباب الخاص بالموظفين .. فى الوقت الذى كان فيه المفتش ماكنزى يدق الباب الخارجى بعنف طالبا السماح

له بالدخول تلبية لاستغاثة الشرطى الذى رأى لوبين يعود الى الحياة ٠

أما لوبين ٠٠ فانه قصد لتوه الى المنزل الجديد الذى انتقل اليه فى شارع سان جيمس ٠٠ فوجد روجر ينتظره على أحر من الجمر ٠

فهتف هذا عندما رأى صاحبه :

- أهذا أنت ؟! لقد كنت فى أشد القلق عليك ٠٠

فأجاب لوبين وهو يبتسم :

- أنا كذلك ٠٠ لقد رأيت المفتش ماكنزى مرتديا معطفك وقبعتك فأدركت فى الحال انه اعتقلك ٠

وتهالك لوبين على أحد المقاعد ، وهو يلهث من التعب وسأل :

- كيف استطعت الافلات منه ؟!

فابتسم روجر وقال :

- هذه أول مغامرة حقيقية جازفت فيها ٠٠ واظهرت شيئا من البراعة ٠٠ ان ماكنزى أمر اثنين من رجاله باعتقالى فذهبا بى الى منزل مجاور للبنك ٠ وهناك نزع ماكنزى معطفى وقبعتى ٠ وتركنى مع الشرطيين ٠٠ حتى يتثبت من العلاقة التى بيننا ٠٠

وابتسم روجر فى شىء من القلق واستطرد :

- وبهذه المناسبة ٠٠ اننى واثق الآن من أن (سكوتلنديارد) قد وضعك تحت الرقابة منذ مدة ٠ فقد فهمت من كلام ماكنزى أنه يعرفك معرفة جيدة ٠٠

فقال لوبين :

- نعم ٠٠ ان الشقى عرفنى فى الحال باسمى الحقيقى

ولكن حدثنى ٠٠ هل أشارت صحف بعض الظهر الى شىء من الحوادث التى وقعت فى ادارة الفرع الحادى عشر لبنك جنوب لندن ؟

فأجاب روجر :

انها أشارت فقط الى جريمة غامضة وقعت فى الفرع المذكور ٠٠ والى وجود جثة شخص مجهول فى قبو البنك ٠

وكانت اشارتها موجزة مما يدل على أنها تلقت النبأ فى آخر لحظة ٠٠

فابتسم لوبين وقال :

- طبعا ٠٠ ان ادارة البوليس يهمها الا تعلن عن عجزها وفشل رجالها فى مطاردتى ٠٠ فكتمت الحوادث التى كنت أنا بطلها ٠٠ حتى لا تنطلق الالسنة بالهزء برجال البوليس

وصمت لوبين لحظة ثم سأل :

- وماذا فعلت بعد أن تركك ماكنزى بين أيدى رجاله

- ماذا فعلت ؟؟ هربت منهم ونحن فى الطريق الى سكوتلنديارد ٠٠

- حسنا فعلت ٠٠ والا كنت وقعت الآن فى حيص بيص

على أن روجر لم يسمع الجملة الاخيرة ٠٠ أو لم يفهمها لان شيئا فى رأس لوبين لفت نظره ٠٠

قال فى شىء من الجزع :

- ماذا أصابك ؟؟ هل جرحت ؟؟ اننى أرى خصلة من شعرك ملوثة بالدم وملتصقة بالجمجمة ٠

فأجاب لوبين وهو ينظر فى المرآة :

- الامر أبسط مما تتصور يا عزيزى روجر ٠٠ اننى جرحت نفسى ٠٠ هذا كل ما فى الامر ٠٠ لقد كنت دائما ضد

فكرة السطو والمسدس فى جيبى .. ولكنى احمد الله على اننى حملت مسدسى معى فى هذه المرة . لانه ساعدنى على الانتحـار .

فهتف روجر فى دهشة :

- الانتحـار ؟!

- نعم .. وبانتحارى تمكنت من الاستيلاء على هذا المبلغ

وأخرج من جيبه حزمة الاوراق المالية ووضـعها على المائدة فهتف روجر :

***

- يا الهى .. ماذا فعلت يا لوبين !!!

وهنا شرع لوبين يسرد على صاحبه كل ما اتفق له فى ذلك النهار الحافل بالحوادث والمفاجآت الى أن قال :

- والانسان حين يفكر فى الاحتيال على ثلاثة عشر مصرفا يتعين عليه أن يحتاط لكل مفاجأة .. ومن حسن الحظ اننى لم أترك شيئا للمصادفات .. فلما تحرجت بداخل القبو .. وبحثت عبثا عن منفذ فلم أجد .. أيقنت اننى على أبواب كارثة وأننى لن أخرج من القبو الا الى السجن .. ولذلك جربت آخر وسيلة ممكنة للافلات .. وهى ان أتصنع الموت .

وقد كنت احمل قنينة تحتوى مزيجا من (التوكسين) « المورفين » .. ومن خصـائص هـذا المزيج اذا حقن به الانسان ان يتجلد جسده .. وتمتقع بشرته .. وتتخـدر أعصابه ويقع فى غيبوبة يبدو معها أنه جثة هامدة .. ولا يتمكن من معرفة الحقيقة سوى طبيب ماهر يسـتطيع أن يسجل نبضات القلب الضعيفة .. اما الطبيب الذى جىء به لفحص جثتى فانه قام بمهمته وبغير عناية .

ولنرجع الى الوقائع .. فأقول لك اننى بدأت بنقل جثة القتيل المجهول من مكانها .. ثم أطلقت على جبهتى رصاصة من مسدس حرصت على الا تحدث بى غير مجرد خدش بسيط ثم القيت بالمسدس من نافذة صغيرة فى أعلا الجدار لم يفطن اليها ماكنزى ورجاله . وبعد أن أغلقت النافذة وحقنت نفسى بمزيج التوكسين والمورفين .. تمددت وسط الدمـاء فى المكان الذى كانت به جثة القتيل المجهول .

***

ومضى لوبين فى سرد قصته وروجر يصغى اليه فى فضول الى أن فرغ من حديثه فشد روجر على يده معجبا وقال :

- فى الحق هذه مجازفة تساوى ضعف المبلغ الـذى استوليت عليه .

وقد اهتم لوبين فى ذلك النهار بقراءة جميع الصحف المسائية ليعلم ما نشرته من أمر مجازفته .. ولكنه اطمـأن حين وجد أن الصحف جميعا أغفلت ذكر الحادث .. وترجح لديه ان ادارة الشرطة لابد قد تعمدت انكار الحادث ..
وترجح لديه ان ادارة الشرطة لابد قد تعمدت انكار الحادث
واخفائه حتى لا تثير سخرية الجمهور برجال البوليس .. وحتى يتمكن هؤلاء من اقتناص ضالتهم فى جو هادىء .

بيد انه وقع فى جريدة « الايفننج نيوز » على نبأ لفت نظره لاتصاله المباشر بحديث سمعه أثناء وجوده فى الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » .

قرأ لوبين فى ذلك النبأ ما يلى تحت عنوان « مجوهرات دوق نورفولك » :

« عاد دوق نورفولك منذ أيام من رحلته فى الهند وأعلن

خطبته لليدى ويدمور ابنة اللورد ويدمور النبيل المعروف.
وقد اتصل بنا أن الزواج سيتم بعد أيام قلائل فى احتفال نادر المثال .. لأن العروسين ينحدران من أغنى الاسر الانجليزية .. ودوق نورفولك وحده يملك مجموعة من المجوهرات لا يقل ثمنها عن مليونين من الجنيهات . وقد أهدى الى خطيبته سبع قطع من أبدع هذه المجوهرات » .

« ولهذه المجوهرات قصة عجيبة . فهى أهم جانب من ثروة الدوق وهى محفوظة منذ عهد اسلافه فى خزائن بنك « جنوب لندن » .

« وقد نص رأس أسرة نورفولك فى وصيته على أن الوريث لايحق له الاستيلاء على الموجوهرات الا عندما يتزوج ومنذ توفى والد الدوق الحالى قبل أربعة أعوام . وهذه المجوهرات الثمينة محفوظة فى بنك « جنوب لندن » وقد جرت ادارة البنك على عادة لا بأس بها لتضليل الطامعين فراحت تنقل المجوهرات بين فروع البنك المتعددة .. حتى أصبح لا يعلم بمقرها الا نفر من كبار موظفى البنك » .

« وثمة نص آخر فى وصية رأس نورفولك يقضى بعرض المجوهرات قبل تسليمها الى وريثها الجديد .. والغرض الذى توخاه رأس الاسرة من هذا الشرط . هو منع الوريث من بيع المجوهرات أو رهنها .. لأنها اذا نقصت قطعة واحدة ظهر هذا النقص عند عرضها وذلك يكفل اخجال الوريث . فلا يقدم على التصرف فى تراث آبائه وأجداده » .

« وهذه المجوهرات ليست فقط ثروة يعتز بها أفراد أسرة نورفولك ولكنها كذلك تحفة قومية يتعين على كل انجليزى أن يفخر بها ويحرص على بقائها فى أرض الوطن » .

عرض المجوهرات الثمينة بمعرض (ريجنت ستريت) فى المدة بين ١٧ و ٢٥ يناير » .

هذا وقد اتخذت جميع الاحتياطات الضرورية للحيلولة دون سرقة هذه المجوهرات التى ستعرض الان لاول مرة منذ سبعة عشر عاما .

***

قرأ لوبين هذا النبأ ثم قال وهو يبتسم :

ـ هل قرأت حكاية مجوهرات دوق نورفولك المنشورة فى هذه الجريدة يا روجر ؟

ـ نعم .. ولكنى لم أعلق عليها شيئا من الاهمية . وكل ما يهمنى بعد أن سمعت قصتك هو أن أعرف من هو الرجل المجهول الذى وجد مقتولا فى قبو البنك .

فهز لوبين كتفيه وأجاب :

ـ فى اعتقادى ان هذا القتيل المجهول هو رجل على اتصال وثيق بالبنك .

ـ وما الذى يدفعك الى هذا الاعتقاد ؟

ـ يدفعنى الى هذا الاعتقاد ان الرجل قتل .. ولكن يجب ان أحزم رأيى على أمر .

ان فى نيتى ان أذهب غدا متنكرا الى معرض المجوهرات

فنظر اليه روجر فى دهشة وقال :

ـ هل لى أن اسألك عما تنوى عمله ؟

ـ يجب ان أحرس مجوهرات دوق نورفولك ...

قال ذلك . ثم نهض الى طاولة الكتابة .. وكتب الرسالة التالية :

« عزيزى ماكنزى

« لا يسعنى على سبيل الاعتراف بما لسذاجتك من فضل علىّ • الا آن أؤدى لك خدمة ربما ترفع من شأنك •• وتجلب لك ما تستحق من ترقية » •

« وهذه الخدمة هى اننى أنصح لك بمراقبة مدير الفرع الحادى عشر من بنك (جنوب لندن) •• فهذا الرجل مجرم خطير » •

« لوبين »

انفرد لوبين بعد ذلك فى غرفته الصغيرة الخاصة التى كان قد أعدها •• وجلب اليها من مختلف الاصباغ والشعر المستعار مالا غنى عنه لمن يرغب فى التنكر •• على أنه لم يشرع فى الحال فى تغيير سحنته •• بل أخذ يفكر ويفكر حتى انقضت ساعة و بعض ساعة •

لم يكن يفكر فى خطة للعمل •• بل كان يحاول أن يتذكر ملامح شخص معين حزم أمه على أن يتزين بزيه •• ويتنكر بشكله •• وما أن فرغ من تذكر سحنة الرجل وقسمات وجهه وارتسمت صورته فى مخيلته حتى شرع فى عملية التنكر •• وقد فعل ذلك بسرعة الرجل المتمرن •• وخرج من غرفته بعد دقائق فاذا هو رجل أسمر البشرة له لحية •

وكانت تلك أول مرة يرى فيها روجر صديقه متنكرا •• فاستولت عليه الدهشة •• وخيل اليه أنه قد فهم خطة لوبين •

قال له :

— يخيل الى آن مقال (الايفننج نيوز) قد لفت نظرك لأنك شديد الاهتمام والتفكير •

ـ هذا صحيح ••

فسأل روجر فى ذعر :

ـ هل فى نيتك الاستيلاء على مجوهرات دوق نورفولك؟

ـ ربما •• ولكن هلم بنا الان •• هل لك فى مرافقتى؟

فوقف روجر مترددا لحظة ثم سأل :

ـ الا تعرض نفسك على جارنا الدكتور ثيوبولد ليفحص الجرح الذى أصاب رأسك ؟

ـ قلت لك أنه جرح سطحى لا أهمية له •• هلم بنا •

ـ الى أين ؟

ـ الى الفرع الحادى عشر لبنك جنوب لندن • ؟

ـ يا لله هل جننت يالوبين ؟ ألم يكفك مافعلت اليوم ؟! أم لعلك تأبى الا آن نقضى ليلتنا جميعا فى أعماق السجن ••

ـ كن مطمئنا يا صديقى •• انك لن تستهدف لأى خطر

ـ كيف لا أستهدف لأى خطر وقد افتضح أمرنا لرجال البوليس ولابد آن يكون ماكنزى قد أذاع أوصافنا على جميع رجال الشرطة والبوليس السرى فى كل أنحاء لندن ؟ أناواثق أن أى شرطى يبصر بنا •• لن يتردد فى الانقضاض علينا • ومن يدرى •• فربما تنشر الصحف غدا صورتنا الفوتوغرافية فتكون الطامة الكبرى •

فقهقه لوبين ضاحكا حين رأى علامات اليأس والجزع التى ارتسمت على وجه صديقه وقال :

ـ يا عزيزى •• انك لازلت على الشاطىء • وفى أستطاعتك ان تنسحب فى آية لحظة •

فاطرق روجر برأسه •• وفكر لحظة •• ثم تناول قبعته وتبع لوبين دون ن ينطق بكلمة •

***

انصرف موظفو الفرع الحادى عشر لبنك «جنوب لندن» ولم يبق سوى المدير فى مكتبه . وقد أعد أمامه مجوهرات دوف نورفولك التى كان يتعين نقلها الى المعرض (ريجنت ستريت) فى صباح اليوم التالى .

وقد ظل الرجل يعمل فى مكتبه حتى انتصف الليل .. ومن ثم نهض الى بيته وهو مطمئن الى أن المجوهرات بمأمن حيث تركها فى غرفة عمله .

وقد أجال طرفه فى الشارع عند انصرافه فرأى رجل البوليس المكلف بالحراسة يروح ويجىء أمام البنك فزادت طمأنينة المدير ومضى فى سبيله .

كان على رجل البوليس المكلف بالحراسة فى الشارع ان يدور حول مبنى البنك مرة فى كل ساعة ليستوثق من أن جميع الابواب لا تزال مغلقة ولم تقع أية محاولة لفتحها .. أو كسرها ..

ففى الساعة الواحدة صباحا . بدأ الشرطى يقوم بدورته المعتادة ولكنه لم يكد ينحرف فى أحد أركان المبنى حتى برز من الظلام رجلان طويلا القامة .. واقتربا من جدار البنك . كان الرجلان هما لوبين وصاحبه روجر .

***

أرسل لوبين بصره الى نوافذ البنك وقدر ارتفاعها عن الارض . ثم قال لصاحبه :

ـ هل ثمة ما يمنعك من أن تدعنى أصعد على كتفيك ؟

فاطاع روجر وعقد ساعديه فوق صدره .. ووقف جامد الحركة فوثب لوبين فوق كتفيه بخفة النمر .. وتعلق بالنافذة وعالجها باداة فى يده .. حتى فتحت .. ومالبث

أن اختفى داخل البنك .. ووقف روجر فى زقاق قريب ليقوم بمهمة الرقابة .

وعاد الشرطى من دورته . وأخذ يسير أمام دار البنك جيئة وذهابا .. ثم انحرف فى الشارع المجاور .. وحار روجر كيف يخطر لوبين بأن الفرصة سانحة للخروج . وهم بأن يصفر بشفتيه .. ولكنه قبل أن يفعل .. فتحت النافذة وانسل منها لوبين بمهارة .. ثم أغلقها .. وتدلى من حافتها .. ووثب الى الأرض ولحق بصاحبه .

ورأى روجر تحت ابطه صندوقا صغيرا فسأله وهما يوسعان الخطى فى الزقاق :

ـ ما هذا الذى تحت ابطك ؟

فأجاب لوبين ضاحكا :

ـ هذه مجوهرات دوق نورفولك .

فلم يصدق روجر أذنيه وهتف :

ـ مجوهرات دوق نورفولك ؟! انك تحمل تحت ابطك ثروة لا تقدر بثمن .. ألست خائفا يا رجل ؟

ـ وممَ أخاف ؟

ـ ان غدا هو الموعد المقرر لعرض هذه المجوهرات فى شارع ريجنت .. فمتى اكتشف أمر السرقة .. حشد رجال البوليس قواهم للبحث عنها .. والقبض على سارقيها .. وسوف يكون أول عمل يقومون به أنهم يعتقلونك وأمثالك ممن تحوم حولهم الريب والشبهات .. أضف الى ذلك أنه من المتعذر عليك ان تتخلص من هذه المجوهرات الثمينة المشهورة ولن تجد من يبتاع قطعة واحدة منها وهو آمن مطمئن .

فابتسم لوبين مرة أخرى .. وقال :

- قلت لك يجب ان تطمئن .. فالمجوهرات ستعرض غدا ..

- لا أفهم ما تعنى ومن ذا الذى سيقدمها للعرض مادامت قد وقعت فى قبضة يدك ؟

- سأقدمها للعرض بنفسى ..

- أنت .. أنت تحمل مجوهرات دوق نورفولك الى المعرض ؟

- نعم .. اننى منذ الآن مندوب بنك « جنوب لندن » المكلف بحراسة المجوهرات .

- انك تتكلم بالالغاز يا لوبين .

- غدا تفهم كل شىء يا روجر .

للانجليز وجهة نظر خاصة فى نقل الاشياء الخفيفة الثمينة التى يخشى عليها من الضياع . فهم يرون أن احاطة هذه الاشياء بجيش من الحراس من شأنه ان يلفت الانظار اليها . وأن يغرى بسرقتها .. ولذلك لم تدهش الجماهير التى احتشدت فى معرض شارع ريجنت لشهود مجوهرات دوق نورفولك الشهيرة عندما أبصرت برجل طويل القامة نحيفا ذى لحية قصيرة مدببة شقراء .. يدخل قاعة العرض وبيده حقيبة صغيرة .. فتحها وأخرج منها طائفة من المجوهرات الثمينة التى يبهر منظرها الابصار .

خف مدير المعرض الى الرجل . وحياه باحترام وسأله:

- هل أنا فى حضرة مستر (بليك) مندوب بنك «جنوب لندن» ؟

فأجاب الرجل فى أدب وهو يخرج مسدسه من جيبه ويضعه بجانب حقيبة المجوهرات :

- نعم يا سيدى .. انا آرثر بليك مندوب بنك «جنوب لندن» المكلف بعرض مجوهرات دوق نورفولك وحراستها أليست هذه هى الطاولة التى أعدت لعرض هذا الكنز الثمين ؟

- نعم يا سيدى .. وقد اتخذت الاجراءات اللازمة لحراستها .. وكلفت ادارة الشرطة احدى نسائها الماهرات بمراقبة الزائرات .. فضلا عن رجال البوليس السرى الذين ينتشرون فى طول المكان وعرضه لمراقبة الزائرين .

فقال مستر بليك ممتعضا :

- ولكن أين هم أولئك الحراس ؟

- انك بكرت بالحضور يا مستر بليك .. فالموعد المقرر لعرض المجوهرات هو الساعة العاشرة .. والساعة الآن الثامنة .. فأنت بكرت كثيرا .

- لا بأس .. سأتولى بنفسى حراسة المجوهرات .. حتى يحضر رجال البوليس السرى ..

وفى هذه الاثناء .. كان المتفرجون قد بدأوا يدورون بالطاولة المغطاه بالقطيفة التى عرض عليها مستر بليك تلك المجوهرات والماسات واللآلىء الثمينة .

فالتفت اليهم مستر بليك .. وقال وهو يعبث بالمسدس بيده :

- محظور مس هذه المجوهرات . ان الاوامر التى لدى صريحة . وهى ان أطلق الرصاص فى الحال وبغير تردد على كل من يمد يده الى أية قطعة من هذا الكنز .

ففرك مدير المعرض يديه ارتياحا الى نشاط مستر بليك ويقظته .

وفى هذه اللحظة دخلت صالة المعرض سيدة متوسطة القامة فى نحو الثلاثين من عمرها فراحت تشق طريقها بين المتفرجين حتى وصلت الى حيث كان مدير المعرض واقفا يتحدث الى مستر بليك .. فحيت الاول وسألت :

- هل كل شىء على ما يرام يا مستر وارنر ؟

فأجاب مدير المعرض :

- نعم يا آنسة ماريون . ان مستر بليك مندوب البنك قد بكر بالحضور .. ومن حسن الحظ انك فعلت مثله .. وجئت قبل الموعد المقرر ..

ثم التفت الى مستر بليك وقال :

- دعنى أقدم اليك الآنسة ماريون .. أمهر نساء الشرطة فى سكوتلانديارد . ان فى استطاعتك ان تعتمد عليها كل الاعتماد .

فابتسمت ماريون وقالت :

- نعم .. كن مطمئنا مادمت الى جانبك ..

فصعدها مستر بليك بعينيه .. ولما كان رجلا واسع التجربة . فقد أدرك فى الحال انه أمام صبية ممتلئة غرورا سألها :

- هل سبق لك القيام بمهام دقيقة خطيرة كهذه المهمة يا آنسة ؟

فقلبت شفتيها وأجابت :

- نعم .. قمت بمهام أدق وأخطر من هذه .. ولم يبق لى الآن غير رغبة واحدة .

- وهى .

- هى القبض على لوبين .. ذلك اللص الفرنسى الجرىء الذى ظهر فى لندن أخير وبدأ القوم يتحدثون عنه فى ادارة البوليس .

انك من موظفى بنك (جنوب لندن) وتعرف طبعا الدور الذى لعبه هذا الرجل الجرىء أمس .

- لو عرف الجمهور ما فعله هذا الرجل أمس لاسقط البوليس من اعتباره .

ان كل رجائى الآن هو أن اقبض على لوبين هذا قبل أن يستفحل آمره .. ولابد من أن أقبض عليه مهما كلفنى ذلك .

فأجال مستر بليك البصر حوله .. ورأى مدير المعرض يبتعد فقال وعلى شفتيه ابتسامة :

- لا عجب اذا تحقق رجاؤك يا آنسة .. اذ بحسبك أن تبتسمى للوبين لكى يلقى سلاحه .. ويقع فى أسرك .

فصعد الدم الى وجنتيها .. وأشاحت بوجهها كيلا تلتقى عيناها بعينيه الثاقبتين .

وفى هذه اللحظة .. دخل صالة العرض رجل طويل القامة نحيفا ذو لحية قصيرة مدببة شقراء يحمل فى يده حقيبة صغيرة .. فراح يشق طريقه بين الجماهير المحتشدة حتى وصل الى الطاولة التى عرضت عليها مجوهرات دوق نورفولك .. فوقف أمام مستر بليك وجها لوجه .

وعندئذ رأى الناس منظرا عجيبا .

رأوا أمامهم رجلين يشبه كل منهما الآخر شبها عجيبا .. واحد هذين الرجلين هو مستر بليك مندوب البنك ..

أما الاخر فكان صورة طبق الاصل منه .

* * *

ساد الهرج والاضطراب فى الحال .. وأحاط الجمهور بالرجلين المتشابهين اللذين راح كل منهما يرمق الآخر فى عجب كأنما عقدت الدهشة لسانه .

وأخيرا هتف القادم الجديد :

- يا اللهى .. ما معنى هذا ؟ أنا مستر بليك مندوب بنك (جنوب لندن) .

وظهرت على وجه مستر بليك الاول علامات الاستنكار وهتف :

- أنت مجنون يا هذا .

- ولكن أحد رجال البوليس السرى فهم الموقف على حقيقته أو ظن انه فهم فاقترب من القادم وسأله :

- هل لديك ما يثبت شخصيتك ؟

فاخرج مستر بليك الجديد من الاوراق ما وجد فيه البوليس السرى الكفاية لاثبات حقيقة شخصيته .

وهز البوليس السرى كتفيه وقال :

- من المؤكد انه لا يمكن ان يوجد سوى مستر بليك واحد . ان معنى هذا حادث مريب .. ولكن هل تستطيع يا سيدى ان تفسر لى معنى وجود مجوهرات دوق نورفولك على هذه الطاولة .. اذا كنت أنت مستر بليك حقا ؟

فصاح مستر بليك الأول :

- ما هذه الجرأة العجيبة ؟ هذا الرجل بغير شك محتال قد تنكر بزيى ليستولى على مجوهرات نورفولك .

ودار الجمهور بالرجلين وراح يرقب هذا الموقف العجيب فى فضول .

واقترب رجل البوليس السرى فالقى بيده على كتف مستر بليك الثانى وقال له :

- وماذا تحمل فى هذه الحقيبة ؟

فأجاب :

- اننى أحمل مجوهرات نورفولك الحقيقية .. أما هذه المجوهرات فزائفة .

وفى هذه الاثناء .. اقترب مستر بليك الاول من الآنسة ماريون وقال لها همسا :

- لا يبعد ان يكون هذا المحتال هو لوبين بعينه ..

وكان هذا الخاطر بعينه قد طرأ على بال ماريون فتقدمت خطوة الى الامام . ومسكت بالحقيبة التى كان بليك الثانى ممسكا بها .. وقالت موجهة كلامها الى الجمهور :

- أليس بين المتفرجين من يستطيع التفريق بين المجوهرات الاصلية والمزيفة ؟

وما كادت تفرغ من كلامها حتى خرج من بين القوم رجل متقدم فى السن .. أرسل نحو بليك الاول نظرة سريعة .. ثم قال محدثا الآنسة ماريون :

- اننى جوهرى يا آنسة . واستطيع فى طرفة عين أن أميز بين الاحجار الكريمة والأحجار الزائفة .

فقدمت اليه ماريون الحقيبة التى كان يحملها بليك الثانى .. فتناول بعض قطع منها وفحصها .. ثم قال على الفور:

- هذه المجوهرات زائفة ولا شك .

فلمعت عينا مستر بليك الاول وقال :

- ألم أقل لكم ذلك ؟

فهتف مستر بليك الثانى :

- ان مدير الفرع الحادى عشر لبنك (جنوب لندن) كان يتوقع ان يسطو لوبين على البنك ليلا ليستولى على المجوهرات كما سطا نهارا على الخزانة . ولذلك فانه وضع المجوهرات المزيفة فى مكتبه .. واخفى الحقيقة فى الخزانة الحديدية .. وها هى المجوهرات الحقيقية فى هذه الحقيبة .

فهز بليك الاول كتفيه وقال :

- لا تصدقوا هذا الرجل .. انه محتال جرىء .. انزعوا اللحية القصيرة التى يتنكر بها .. فيظهر على حقيقته

فمد البوليس السرى يده وقبض على اللحية الشقراء المدببة .. وجذبها .. فنزعت فى يده .

وهنا ارتفعت صيحات الدهشة من أفواه المتفرجين وقال مستر بليك الاول :

- الآن قد وضحت الحقيقة فاذهبوا بهذا الشقى الى ادارة الشرطة .. ودعونى احتفظ هنا بجسم الجريمة .. عسى أن نعلم كيف استطاع هذا المحتال ان يصنع هذه المجوهرات المزيفة مطابقة تماما للمجوهرات الحقيقية .

قال ذلك وتناول الحقيبة دون أن يعترضه أحد .. ووضعها بالقرب من المجوهرات والماسات المعروضة .. ثم همس فى أذن الآنسة ماريون قائلا :

- ألم أقل لك انه لوبين بعينه ؟

فهزت رأسها وغمغمت :

- هذا أمر مؤسف له .

- لماذا ؟! ..

فتنهدت وأجابت :

- كنت أتصور أن لوبين شاب أنيق رشيق حليق اللحية والشارب وكان بودى ان يكون لى السبق فى القبض عليه ؟

- وهل أنت آسفة على أنك لم تقبضى عليه ؟

- اننى أعترف بذلك .

- ماذا تعطينى يا آنسة اذا أنا مكنتك من القبض عليه؟

- طبعا .. ان فى استطاعتك ان تعرفه قبل غيرك .. لانك كنت أحد الذين رأوه فى فرع البنك أمس .. ولكن اذا حدث واستطاع لوبين أن يفر . ومكنتنى أنت من القبض عليه .. فاننى انفحك مائة من الجنيهات .

- هذا مبلغ ضئيل .

ثم ابتسم واستطرد بصوت خافت :

- اننى أفضل على هذا المبلغ ان أنال قبلة من فمك .

- انك وقح .

وأخذت ترقب المتفرجين وهم ينصرفون تمهيدا لدخول طائفة أخرى منهم . ثم تحولت بعد لحظة الى مستر بليك وقالت له :

- اثبت لى أن فى استطاعتك ان تساعدنى على اعتقال لوبين . فاعدك بقبلة ..

فمد اليها يده وقال فى حماسة :

- أتقسمين على ذلك .

- أقسم ..

- حسنا .. اتفقنا .. اقبضى على .

وفى ذات الوقت .. أشار مستر بليك الى رجل البوليس

الذى يقوم بحراسة الباب وطلب اليه ان يسمح بدخول فوج جديد من المتفرجين .

أما الآنسة ماريون .. فانها ظلت واقفة أمام مستر بليك كأنها تمثال من الرخام .

لقد اعترف لها هذا الرجل فى كل هدوء وبساطة بأنه لوبين فترى هل هو جاد فيما يقول ؟

كانت تفكر فى ذلك عندما سمعت صوت مستر بليك وهو يقول لها :

- ربما كان الافضل ان تعنى بحراسة المجوهرات يا آنسة .

لقد صرفك النظر الى وجهى عن أداء واجبك على الوجه الاكمل .

والواقع ان ماريون كانت فى شغل عن المجوهرات بتأمل مستر بليك .

راحت تصعده من رأسه الى أخمص قدميه .. وكلما امعنت النظر اليه .. ازداد يقينها من أنه لوبين .. اللص الفرنسى البارع الذى يفتش عنه رجال البوليس فى العالم كله .

نعم .. كانت أوصافه تنطبق تماما على الاوصاف التى أذاعها المفتش ماكنزى على رجال الشرطة السريين .

تأملت مظاهر الرجولة والقوة التى تتجلى فى قسمات وجهه .. وأيقنت تماما انه لوبين .

نظرت الى لحيته الشقراء وقالت :

- ولكن كنت اعتقد أنك أسود الشعر .

فأجابها وهو يبتسم :

- لو علمت انه سيكون لى شرف التعرف بك يا آنسة لما ترددت فى أن أترك لحيتى فى المنزل .

فاحمر وجهها . وضحك مستر بليك ..

نعم .. ضحك على حسابها .. لانها لم تلاحظ أن لحيته مستعارة .

فتحت فمها وكأنها تهم بأن تأمر احد رجال البوليس بالقبض عليه ولكنه حدجها بنظرة ما كادت تلتقى بنظرتها حتى أطرقت الى الارض ولزمت الصمت لحظة ثم راحت تقول فى صوت خافت :

- انك رجل مخيف . ولكنك لن تفلت منى .

نعم .. لابد أن أقبض عليك قبل أن تبرح هذا المكان وكل ما فى الامر أننى لا أريد فى الوقت الحاضر أن أحدث ضجة ربما تؤدى الى سرقة المجوهرات المعروضة .

فأجاب لوبين وكان هو بعينه :

- على رسلك يا آنسة .. اقبضى على اذا شئت .. ولكن يجب أولا ان أنال القبلة ..

فهتفت فى غضب :

- صه أيها الوقح ..

وفى هذه اللحظة اعد أحد رجال البوليس السرى الذين رافقوا مستر بليك الثانى الى ادارة الشرطة .. فشد على يد لوبين بحرارة وقال له :

- انه هو لوبين بعينه لقد وجدنا ان شعر رأسه مستعار وكذلك شاربه .. والفضل فى القبض عليه يرجع اليك أنت .

فقال لوبين وهو يبتسم :

- لقد كنت واثقا من ذلك .

قال رجل البوليس السرى :

– وثمة نبأ آخر يهمك بصفتك من موظفى بنك (جنوب لندن) .

– وما هو هذا النبأ ؟

– ان مدير الفرع الحادى عشر للبنك قد اختفى دون ان يترك وراءه أثرا .

فابتسم لوبين وسأل :

– أحقا تقول ؟ ألم يجدوه فى منزله ؟

– كلا . ولايزال أمر اختفائه سرا غامضا .. ويخشى ان تكون فى الامر جريمة .

فأشعل لوبين لفافة تبغ .. وشرع يدخن فى هدوء .. ويرقب سحب الدخان وهى تنتشر فوق رأسه .

وظلت الآنسة ماريون واقفة بمقربة منه .. وقد عقدت ساعديها فوق صدرها .. وراحت ترقبه عن كثب . وتعد عليه الحركات والسكنات . وتفكر فى ذات الوقت .

***

اشتهرت الآنسة ماريون بأنها من أمهر النساء اللائى استخدمتهن (سكوتلانديارد) .

راحت تفكر فى الموقف فى أفق أفسح .

قالت لنفسها :

– ان الرجل الذى اتهمه لوبين منذ لحظة بأنه لوبين ليس هو وقد ذكر البوليس السرى بأن مدير الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » قد اختفى .. ولما كان لوبين الحقيقى ولوبين المزيف يعلمان بحادث السرقة الذى وقع ليلة أمس فى مكتب مدير الفرع الحادى عشر للبنك .. فمن

المؤكد اذن أن لوبين المزيف .. أو بمعنى آخر الرجل الذى ساقه رجال البوليس منذ لحظة الى ادارة الشرطة .. هو المدير المختفى بعينه .

ولكن لماذا جاء حاملا المجوهرات المزيفة ؟ ولماذا اعترف بعد القبض عليه بأنه لوبين .. وهو ليس لوبين ؟ .. نعم .. لابد أنه اعترف بأنه لوبين .. ولولا ذلك ما قال البوليس السرى بلهجة التأكيد ان المقبوض عليه هو لوبين بعينه .

وراحت تضرب أخماسا لأسداس .. وتحاول حل هذا اللغز العجيب .

قالت لنفسها : مهما يكن من أمر فلابد ان يكون مدير البنك قد رأى من مصلحته الا يظهر حقيقة شخصيته .

ومادام ذلك كذلك فلابد انه ارتكب جريمة .. أو أقدم على عمل يخشى نتائجه وتبعاته .. ولولا ذلك ما اختفى وتوارى عن الانظار .. ولولا ذلك لما تنكر بلحية مستعارة .

واعترف على نفسه بأنه لوبين .. وهو ليس كذلك .

انه كان يحتفظ فى خزانة البنك بمجوهرات دوق نورفولك فليس بعيدا اذن ان يكون قد وضع خطة ما للفرار بهذه المجوهرات عقب الفراغ من عرضها .. بدليل انه اصطنع نظائر لها يتعذر على الناظر ان يفرق بينها وبين المجوهرات الحقيقية ؟

ولكن كيف استولى لوبين الحقيقى على المجوهرات الحقيقية ؟؟؟

وكيف لم يغنمها لنفسه ويهرب بها ؟؟ ثم كيف حدث من تنكر الرجلان لوبين ومدير البنك .. فى زى واحد ..

وشكل واحد .. هو زى وشكل مستر بليك الذى كتبت ادارة البنك الى ادارة البوليس وادارة المعرض تقول أنه هو المندوب الرسمى المكلف بعرض المجوهرات وحراستها ؟ وأين مستر بليك الحقيقى .. ولماذا لم يظهـــر على مسرح هذه الحوادث الغامضة العجيبة فيميط اللثام عن الحقيقة ؟؟

هزت رأسها فى حيرة ..

وجدت نفسها أمام طائفة غريبة من الالغاز المعقدة .

سمعت الآنسة ماريون فجأة صوتا يسألها :

ـ الا أستطيع ان أفيدك بشىء ..

فتحولت الى مصدر الصوت .. ورأت لوبين ينظر اليها ويبتسم ..

شعرت نحوه بكراهية شديدة .. ولاحظت ما فى صوته من تهكم وسخرية وودت لو تستطيع قتله فى التو واللحظة .. لتنتقم لنفسها من استخفافه .. وتهكمه عليها .

بيد أنها شعرت بالحاجة اليه .. شعرت بأن هنـــاك أسرارا تستطيع ان تستخلصها منه أو تستدرجه حتى يظهرها عليهـا .

قالت له :

ـ أريد ان أعلم ما صار اليه أمر مستر بليك الحقيقى الذى استطعت ان تتنكر فى زيه بمهارة عجيبة .. كمـا استطاع ذلك الرجل الآخر الذى قبضنا عليه منذ لحظة .

ـ ان مستر بليك الحقيقى الموظف ببنك « جنوب لندن » قد مات يا سيدتى .

ـ مات ؟؟ لعلك تعنى أنه قتل ؟؟

ـ نعـم ..

ـ يا الهى .. وهل أنت الذى قتلته ؟

ـ كلا يا سيدتى .. اننى لا قتل أحدا .. انما الذى قتله هو مدير الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » .

ـ هل أنت واثق مما تقول ؟

ـ نعم يا سيدتى .. لقد قمت أمس بزيارة هذا البنك وحدث أننى سمعت جدلا عنيفا فى احدى الغرف .. فنظرت من ثقب الباب .. وشهدت الجريمة وقت ارتكابها .. ولم استطع التدخل فى الامر لانقاذ الرجل التعس .

ذلك لان الجريمة ارتكبت فعلا قبل ان أحرك ساكنا .. ولكنى أدركت فى الحال غرض المدير من قتل ذلك الموظف المسكين .

ـ ان حديثك يثير فضولى يا مستر .

فقال لوبين ضحكا :

ـ يا مستر لوبين .

ثم استطرد :

من المؤكد ان مدير البنك هو كذلك الذى قتل الرجل المجهول الذى وجدت جثته فى قبو البنك .. ومن المؤكد انه أراد ان يستولى على مجوهرات دوق نورفولك ولكنه أشفق من العاقبة .. وأيقن أنه اذا سرق المجوهرات وفر بها .. انطلق فى آثره جميع رجال البوليس فى جميع انحاء أوروبا .. فماذا يفعل ؟

فكر فى ان يتخلص من الموظف الامين المنتدب لعـرض المجوهرات وحراستها .. لكى يتنكر فى زية .. ويعرض المجوهرات بنفسه .. ثم يختفى بها بعد أن يضع المجوهرات

المزيفة بدلها على سبيل التمويه .. والتعمية .. الى أن يتمكن من مغادرة هذه البلاد .. وليس من المهم متى رحل ان تكتشف جثة مستر بليك .. أو يفتضح أمر المجوهرات

فهل فهمت يا سيدتى ؟

فقال لوبين ضاحكا :

- نعم .. فهمت .. واذن على هذا الاساس وضعت انت خطتك يا مستر .

- يا مستر لوبين .. نعم .. على هذا الاساس وضعت خطتى .. فقلت لنفسى أن ما يستطيع هذا الشقى أن يفعله .. أستطيع بدورى آن اضطلع به .. وفضلا عن ذلك انه كان يهمنى أن أنصب له فخا أوقع به .. لكى يلقى جزاءه فذهبت الى ادارة البنك ليلا .. واستوليت على المجوهرات .. ثم تنكرت فى زى مستر بليك كما رأيته من خلال ثقب الباب .. وجئت الى هنا .. فدفعت بمدير البنك الى يدى رجال البوليس .

فما قولك فى ذلك يا سيدتى ؟

فلم تجب ..

كانت تفكر فى المجوهرات وفى الخطر الذى يتهددهذا الكنز الثمين من جراء وجود لوبين مقربة منه . فخطر لها ان تدعو أحد رجال البوليس وأن تطلب اليه أن يقبض فى الحال على لوبين .. ولكنها عادت ففكرت فى أنه يحسن بها ان تحاربه بمثل سلاحه .. وأن تمضى فى استدراجه لتعرف المزيد .

فسألته :

- ولكن كيف حصلت على المجوهرات الحقيقية ؟ ..

ولماذا أقبل مدير البنك الآن حاملا المجوهرات المزيفة ؟

- سأوضح لك يا سيدتى .. ان الامر بسيط غاية البساطة ..

ان مدير البنك ليس من طراز المجرمين العادبين .. ولهذا لم يستطع أحد أن يضبطه متلبسا بجريمة .. رغم الجرائم العديدة التى يخيل الى أنه ارتكبها ..

لقد خشى هذا الرجل أن يسطو بعضهم .. أو أن يسطو لوبين على الكنز الثمين فوضع المجوهرات المزيفة فى حقيبة تركها فى غرفة عمله .. أما المجوهرات الحقيقية فانه احتفظ بها فى احدى الخزائن .. فلما ذهبت لزيارة البنك بعد منتصف الليل .. عثرت بصندوق المجوهرات المزيفة ففتحته وأدركت الحيلة فى التو واللحظة .. فعالجت الخزانة بطريقة خاصة .. واستطعت ان افتحها .. وأخذت المجوهرات الحقيقية فوضعتها فى الصندوق .. ونقلت المجوهرات المزيفة الى الخزانة .. وجئت فى صباح اليوم متنكرا بزى مستر بليك .. ليس فقط لاعرض المجوهرات الحقيقية وأحرسها .. وانما كذلك لاوقع بالمجرم وأسلمه للعدالة .

قد حدث فى الصباح أن لاحظ مدير البنك اختفاء الصندوق من غرفة عمله .. فاطمأن الى أن الذى سرق لم يكن سوى المجوهرات الزائفة .

فحمل معه المجوهرات التى يعتقد انها الحقيقية ... وجاء الى هنا تنفيذا للخطة التى وضعها .. والتى يرمى بها الى الاستيلاء فى النهاية على المجوهرات الثمينة .

فهل فهمت ياسيدتى ؟؟ ان الحادث يبدو غامضا .. ولكنه فى الواقع بسيط مفهوم .

فلم تجب .

كانت رأسها مثقلا .. فلزمت الصمت .. وقنعت باختلاس النظرات بين الفينة والفينة الى ذلك الشاب الجرىء الغريب الاطوار .. الذى راح يحدثها عن جرائم السرقة والقتل كما لو كان يسرد قصة خيالية ..

يبدو أنها كانت مصممة تصميما أكيدا على ألا تدعه يفلت من يدها .

***

انهى مدير المعرض الى مستر بليك المزعوم والى الآنسة ماريون ورجال البوليس السرى المكلفين بحراسة مجوهرات الدوق نورفولك الاتفاق الذى تم مع ادارة البوليس للمحافظة على المجوهرات .

تم الاتفاق على عدم تعريض المجوهرات لخطر السرقة والسطو بنقلها ليلا الى خزانة البنك . فتقرر ابقاؤها فى المعرض على أن تحاط دار المعرض بخمسين من رجال الشرطة .. وعلى أن تضاء قاعة المعرض ويقوم مستر بليك والآنسة ماريون بالحراسة ليلا بالتناوب .

وقد فكرت الآنسة ماريون فى أن تقبض فى الحال على لوبين ولكنها ترددت .. وخشيت ان يكون كل ما قاله لها حكاية مخترعة من أولها الى آخرها ... وان يكون الرجل الذى ألقى القبض عليه هو لوبين حقيقة .. فتصبح اضحوكة أمام الجميع .

بيد أنها حزمت أمرها على أن تسهر على المجوهرات .. وترقب لوبين جيدا .. وتقبض عليه اذا قام بأية محاولة لسرقة المجوهرات .

قال لها لوبين عندما أقبل المساء :

- هل ثمة ما يمنع من أن أذهب لتناول طعام العشاء فى بيتى ؟

ففكرت الآنسة ماريون قليلا ثم أجابت :

- كلا .. على الاطلاق .. فاذهب اذا شئت .. وسأقوم بالحراسة نيابة عنك حتى تعود .

وما كاد ينصرف حتى أسرعت ماريون الى أحد رجال البوليس السرى الذين وضعتهم ادارة الشرطة تحت أمرتها وقالت له :

- انطلق فى أثر مستر بليك .. وراقبه جيدا حتى لتعرف بيته ..

- حسنا يا سيدتى ..

وانطلق الرجل فى أثر لوبين .

***

ما لوبين فانه سار فى سبيله آمنا مطمئنا . فراح يستنشق الهواء ملء رئتيه بعد الجهود التى بذلها فى اليومين الآخرين ..

بيد انه لم يقصد توا الى داره .. بل عرج على أحد مكاتب البريد .. واتصل تليفونيا بادارة الشرطة ودار بينه وبين المفتش ماكنزى الحديث التالى :

- ألو ... مستر ماكنزى مفتش البوليس ؟ حسنا .. أنا لوبين .. هل القيت القبض على مدير الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » ؟ ألم تقبض عليه ؟ .. انك مخطىء يا عزيزى ماكنزى ..

فالرجل مجرم عريق فى الاجرام .. ألا ترى مثل رأيى

يا مستر ماكنزى ؟ اننى لا أحب ان أدفع بانسان الى الجلاد .. ولكننى متى رأيت الجريمة بعينى رأسى .. فان الواجب يحتم على أن أتكلم .. وأنا الان أذكر لك ان مدير البنك قد فتك بمستر بليك .. مندوب البنك . فهل يكفيك هذا التصريح ؟ تعتقد ان مستر بليك موجود الان فى معرض المجوهرات .. ومعنى ذلك انه لايزال حيا يرزق ؟ انك أعمى يا عزيزى ماكنزى .. فالرجل الموجود بدار المعرض ليس مستر بليك .. ولكنه لوبين . ماذا ؟ انت لاتصدقنى . لان لوبين مسجون الان فعلا ؟ لا شك انك مجنون ياماكنزى.. فالرجل المسجون الان ليس لوبين .. ولكنه مدير البنك.. ألا تريد ان تصدق ؟ اذن فابحث ونقب .. واستفسر .. ثم صدقنى .. ولكن حذار ان تنهى الى الصحف نبأ القبض على لوبين .. اذا فعلت ذلك فانك تعرض نفسك لسخرية الناس أجمعين .. والان .. الى اللقاء يا عزيزى ماكنزى.

وقصد لوبين توا بعد ذلك الى منزله .. فوجد روجر ينتظره على أحر من الجمر .. وتناول الاثنان طعام العشاء معا .

وحاول روجر ان يعرف منه شيئا عن مغامرة ذلك النهار .. ولكن لوبين لزم جانب الصمت .

ولما فرغ من تناول الطعام .. عاد أدراجه الى دار المعرض ليتناوب مع الآنسة ماريون حراسة مجوهرات دوق نورفولك .

وحول الساعة الثامنة .. قدم دوق نورفولك وخطيبته الى دار المعرض لمشاهدة تلك المجوهرات النادرة التى ستكون

من نصيبها عقب الزواج مباشرة .

وكانت الفتاة على جانب عظيم من الجمال ..

ولكن لوبين لاحظ على وجهها الجميل مسحة حزن وأسى ..

وكان مدير المعرض فى استقبال الدوق وخطيبته.. فقدم اليهما مستر « بليك » مندوب البنك .. وشكر الدوق المندوب على عنايته وسهره ثم شرع يتأمل المجوهرات .. ويرشد خطيبته الى القطع التى اختارها لتكون هدية لها .

بيد أن لوبين ما لبث ان لاحظ أن الفتاة لاتلقى بالا الى المجوهرات التى ستؤول اليها عما قريب وبينما الدوق وخطيبته يتأملان المجوهرات اذا بشاب يلحق بهما..فنظرت ماريون الى الشاب فى ارتياب .. ولكن الدوق أومأ نحوه برأسه . وقال :

- أنه سكرتيرى ...

ولاحظ لوبين أن الليدى ويدمور (خطيبة الدوق) تتبادل مع السكرتير الشاب نظرات طويلة حزينة .. فلم يتمالك من الابتسام .. وقال يحدث نفسه :

- ان أكثر الرجال لا يبصرون .

ان هذا الدوق الاعمى لا يستطيع ان يلاحظ أن خطيبته مدلهة بحب سكرتيره ..

وأرسل بصره الى السكرتير مرة أخرى .. وعندئذ خطر له خاطر ..

قال يحدث ماريون :

- ارجو المعذرة يا آنسة .. ان لى شأنا مع هذا الشاب .. فاهتمى بحراسة المجوهرات وحدك ..

فاومأت برأسها موافقة ..

قال لها لوبين :

- ألم تلاحظى ان الدوق ممتقع البشرة ؟!

ان الذين يعودون من رحلة فى الهند تكون بشرتهم عادة برنزية اللون ..

قال ذلك ثم لحق بسكرتير الدوق وقال له فى صوت خافت :

- عفوا يا سيدى .. يخيل الى أننى أعرفك ... فهل رأيت هذه الصورة ؟!

وأخرج من جيبه صورة فوتوغرافية صغيرة عرضها على الشاب .. فتأملها قليلا . ثم قال :

- طبعا .. فتأملها قليلا . ثم قال :

- طبعا .. هذه صورتى .. فأين وجدتها ؟!

وأدار الشاب الصورة .. وقرأ ما هو مكتوب فى باطنها ثم امتقع وجهه . وهتف فى انفعال شديد :

- اننى أسألك أين وجدتها ؟ انها صورتى .. وفى باطنها كلمة اهداء منى الى أبى ..

لقد كانت هذه الصورة مع أبى .. فأين هو ؟ .. أين وجدتها ..

- ألم تقابل أباك منذ مدة ؟

- لقد انقطعت انباؤه منذ شهر . وقد بحثنا عنه طويلا فلم تقع له على أثر .. وكل ما علمناه انه سحب أمواله الطائلة التى كانت مودعة فى بنك « جنوب لندن » واختفى

ففكر لوبين لحظة ثم قال :

- يؤسفنى أن أقول لك ان والدك ذهب ضحية مدير الفرع الحادى عشر للبنك المذكور .. لقد وجد رجال

البوليس جثة أبيك فى قبو البنك .. وتصادف اننى كنت هناك . فعثرت على هذه الصورة فى جيبه قبل أن يفتشه رجال البوليس .. وكانت كل الدلائل تدل على أنه قتل حديثا .. ومعنى ذلك أن مدير البنك لابد قد استولى على أمواله بطريقة ما ثم سجنه ، وفتك به أخيرا .

فاشتد شحوب وجه الشاب .. وتقابلت عيناه بعينى الليدى ويدمور مرة أخرى . وأطرق كل منهما برأسه .

ولاحظ لوبين تلك النظرة .. وشعر السكرتير أن لوبين قد لاحظ .. فقال فى همس :

- بحق السماء .. أرجوك ان تلزم الصمت .. ولا تحدث أحدا بما رأيت .

ففكر لوبين لحظة ثم قال :

- كن مطمئنا .. اننى أدرك حقيقة موقفك .. انك لم تقبل هذه الوظيفة الا بسبب اختفاء أبيك . وفقدان ثروته . أليس كذلك ؟!

- نعم ..

- اذن فاننى أنصح لك بان تبذل جهدك وتحول بين دوق نورفولك والاقتران بالسيدة التى تحبها .. وسوف تجد فى خير عون لك .

وانصرف الدوق وخطيبته وحاشيتهما أخيرا .. وبقى لوبين والآنسة ماريون فى الحراسة ..

وأخذت ماريون تحصى الساعات بفارغ الصبر فى انتظار ان تبزغ شمس الصباح لتوقع بهذا المحتال الذى دوق المفتش ماكنزى والمفتش تيل .

قالت تحدثه :

- هل تنوى الاستيلاء آخر الامر على المجوهرات ؟

فابتسم وأجاب :

- بغير شك ..

- اذن فثق اننى لن أتردد فى اطلاق النار عليك عند أول محاولة .

- ولكنى نزعت الرصاص من مسدسك أيتها الحسناء

فصاحت :

- تبا لك ..

وبحثت عن المسدس لتتأكد من صدق كلامه ..

وفى هذه اللحظة .. انطفأت الانوار الكهربائية فجأة ..

وسمعت ماريون صوت لوبين وهو يصيح .

- حذار يا آنسة ..

ودوى فى المكان طلق نارى .. ثم أحست ماريون بأصابع قوية تقبض على عنقها .. فأرسلت صرخة مختنقة ..

وسمع الحراس دوى الطلق النارى فهرولوا الى داخل القاعة ...

وساد الاضطراب .. فانتهز لوبين هذه الفرصة .. واختطفت المجوهرات .. ودسها فى جيوبه .. ولاذبالفرار تاركا ماريون تناضل العدو الخلفى الذى اطفأ الانوار وأطلق الرصاص ، وهجم عليها ..

***

استقل لوبين سيارة آجرة .. وقصد بها توا الى قصر الدوق .. وطلب مقابلة السكرتير ..

ولم يعرفه السكرتير أولا .. ولكنه عاد فتذكره فقال له لوبين :

- هل أعددت العدة للفرار مع الليدى ويدمور ؟

فاحمر وجه الشاب . وسأل :

- **وكيف علمت ذلك ؟**

- اننى أعلم كل شىء .. ولكن من المؤكد انك لاتملك المال اللازم لانقاذ خطتك .. أليس كذلك ؟؟

- نعم ..

- ان فرارك مع الليدى سينقذها من هموم كثيرة .. ومادامت تحبك وتمقت زوجها فمن العدل ان تقترنا .. اننى جئتك بالمجوهرات التى وعد الدوق بأن يهديها الى خطيبته .. فخذها .. وقدمها اليها .. واليك كذلك حزمة من الاوراق المالية .. سوف تساعدك على انقاذ مشروعك .

وهم لوبين بالانصراف .. فلحق به السكرتير الشاب وهو يصيح :

- ولكن هذا كثير يا سيدى .. هذا كثير .. انك جعلتنى من أسعد الرجال .. فكيف أشكرك ..

وهم لوبين بأن يتكلم .. ولكنه سمع فى هذه اللحظة صرخة مزعجة .. جعلت الدم يجمد فى عروقه .

تراجع مذعورا .. ونظر الى السكرتير متسائلا .. قال :

- ما هذا الصراخ المزعج ؟؟ يخيل الى أنه صراخ حيوان يتعذب .

- نعم .. انها صرخة مزعجة تتكرر مرارا أثناء الليل .. يقول الدوق انها روح أحد أجداده تهيم فى أنحاء القصر ولا تطمئن الى مكان ..

فهز لوبين كتفيه . وهم بالانصراف .. ولكنه سمع فى

هذه اللحظة جلبة شديدة فى فناء القصر . فاطل من احدى النوافذ .. وتراجع الى الوراء مقطب الحاجبين ..

هتف قائلا :

ـ رجال البوليس ..

فقال السكرتير فى جزع :

ـ ماذا يريدون ؟

ـ انهم يبحثون عنى .

ـ من أنت يا سيدى ؟

ـ ان اسمى لا يهمك ... ولكن لى مع رجال البوليس حسابا أكبر الظن أنهم يريدون تصفيته ..

وفهم السكرتير .. فأمسك بساعد لوبين وقال له :

ـ أتبعنى .. سأجد لك مخبأ ..

وهبط به نصف درجات السلم . عرج على باب جانبى ... وهبط سلما آخر .. وانتهى الى باب القبو .

قال :

ـ تستطيع ان تعالج باب هذا القبو .. وتختبىء فيه .. حتى ينصرف رجال البوليس .

وتركه وانصرف .

وبقى لوبين وحده .. فأرهف أذنيه . وسمع وقع أقدام رجال البوليس وهم يصعدون ويهبطون . فشرع فى معالجة باب القبو .. حتى تمكن من فتحه .. ومن ثم نفذ الى داخل القبو ..

وانه يهم بغلق الباب .. اذا بتلك الصرخة المزعجة تنبعث من ظلام القبو وتدوى فى أذنيه .

صاح بدوره مرعوبا . وأضاء مصباحه الكهربائى وأجال الطرف حوله .

وعندئذ وقع بصره على منظر وقف له شعر رأسه رعبا ..

رأى مخلوقا عارى البدن ممزق الجسم .. أشعث الشعر .. ولكن تبدو على وجهه دلائل النبل ..

اقترب منه وهو يمشى مشية الخائف الوجل وسأله :

ـ من أنت ؟

ففتح ذلك المخلوق التعس فمه ..

وعندئذ لاحظ لوبين أنه مقطوع اللسان ..

وفى ذات اللحظة . سمع لوبين دوى الرصاص فى الطابق الاعلى .. فأيقن ان هناك معركة شديدة .. ولكن من هم أبطالها ؟

وأنه فى حيرته .. اذا بالسكرتير يدخل القبو وعلى وجهه علامات الفزع .

هتف به السكرتير :

ـ آين نت ؟ ان الفرصة سانحة . وفى استطاعتك ان تلوذ بالفرار .. يا الهى ..

وذلك لأن السكرتير رأى ذلك المخلوق المشوه التعس. تجمد فى مكانه .. وصرخ :

ـ ما هذا ؟ من هذا ؟

ـ لا أعلم . انه صاحب الصرخات المزعجة التى تنبعث أثناء الليل ولكن صبرا .

ـ لا تقترب منه .

ـ يخيل الى أنه غير مؤذ .

ودنا لوبين من ذلك المخلوق .. وقدم اليه ورقة وقلما. وقال له :

- من أنت ! ٠

فاختطف الرجل القلم ٠ وكتب بسرعة : « أأنا دوق نورفولك الحقيقى » ٠ وقرأ لوبين والسكرتير هذه الكلمات وهتف الاول :

- آه ٠٠ فهمت الآن ٠٠٠ لقد جاء رجال البوليس فى البحث عن دوق نورفولك الزائف ٠٠ لابد ان أحد رجاله هو الذى حاول السطو الليلة على المجوهرات فى المعرض فاعتقله رجال البوليس وحملوه على الاعتراف ٠٠ ولكن ترى من هو دوق نورفولك المزيف ؟

- صه ٠٠ صه ٠٠ انهم يقتربون ٠٠ اهرب بجلدك ٠٠

انصرف لوبين من القصر دون ان يفطن اليه أحد ٠ وقصد توا الى بيته ٠ ولكنه ماكاد يقترب منه ٠ حتى برز له (روجر) من أحد الازقة وهتف :

- لا تذهب يا لوبين ٠ ان رجال البوليس يحتلون المنزل

فصعق لوبين وسأل :

- كيف ذلك ؟

- لقد جاءت قوة من رجال البوليس على رأسها فتاة ٠ فحاصروا المنزل ٠ وفتشوه ٠ ولولا اننى تظاهرت باننى خادمك لما سمحوا لى بالانصراف ٠

فهز لوبين رأسه وهمس :

- قبحها الله تلك الشقية لابد ان أحد رجالها تعقبنى دون أن أشعر ٠

وقد قرأ لوبين فى صحف الصباح نبأ القبض على الدوق المزيف ٠ وفهم من التفاصيل ان هذا الدوق المزيف كان منذ خمسة أعوام سكرتير للدوق ٠ وكان يشبهه شبها عجيبا

فتربص به واعتقله ٠ وسجنه وأذاع نبأ سفره الى الهند ثم أعلن عودته ٠ دون ان يحدث سفر أو عودة ٠ لان الدوق كان طول الوقت مسجونا ٠٠ وكان سكرتيره الشقى متواريا عن الانظار ٠٠ فظهر آخيرا باسمه ٠ ومظهره وكان كل غرضه الاستيلاء على مجوهرات نورفولك ٠

القسم الثالث

مجوهرات فاندروود

كان المفتش كوريو رجلا مغمورا هيأت له الاقدار فرصا ذهبية فارتفع الى قمة المجد ٠٠ وصار اسمه ملء الافواه والاسماع ٠٠ وسما على أترابه ، وكسف نجمه المتلألىء نجومهم المغربة ٠٠ فامتلأت قلوبهم حقدا عليه ٠٠ وغيرة منه ٠

وقد أحرز ذلك الرجل السعيد سلسلة انتصارات باهرة رفعته الى مصاف كبار رجال المباحث الجنائية فى سكتلانديارد ٠٠ وقد بدأ انتصاراته بالقاء القبض على بعض عتاة المجرمين وزجهم فى غياهب السجون ٠٠ وبذلك راح الناس يتحدثون عنه بوصفه « الرجل الذى لايبارى فى ضبط الامتعة المسروقة » ٠

وقد أكسبه نجاحه العظيم فى هذا المضمار عطف شركات التأمين عليه وتأييدها له ٠٠ فانتفخت جيوبه بالمكافآت التى اعلنت عنها تلك الشركات لاسترداد المسروقات ٠٠٠

ولم يكن المفتش تيل راضيا عن مساعدة كوريو ٠ ولكنه كان رجلا طيب القلب ٠٠ لا تمتد يده بالاذى والضر الى صحبه ومساعديه ٠ فتغاضى عن كثير من هفوات كوريو ٠ وتصرفاته غير اللائقة ٠٠ تاركا للايام مهمة اظهاره على حقيقته ٠

كان الغرور قد ملأ رأس كوريو عقب انتصاراته الرائعة فاستدعى اليه أحد محررى صحيفة (يولدوج) . وأفضى اليه بحديث طويل أثار عليه سخط زملائه ، وجعلهم يتحينون الفرص للقضاء عليه .

وقد نشرت الصحيفة الحديث .. وزينته بصورة المفتش كوريو وهو فى ثيابه الرسمية .

وفى صباح اليوم التالى لصدور الصحيفة اجتمع تيل بكوريو فى غرفة الاول .

وشرع تيل يصارح مساعده برأيه فى بعض ماتضمنه المقال من المسائل الهامة .. وكان تيل قد تأهب لهذا اللقاء ورسم خطوطا بالقلم الازرق تحت بضع فقرات من المقال .

وفيما يلى نص احدى هذه الفقرات :

« اذا سألتنى لم سمح لذلك الرجل المدعو آرسين لوبين بالعودة مرة أخرى الى انجلترا لاعجزتنى الاجابة ، فاننى لا أؤمن بالمجرمين الذين ينزعون الى الخير أكثر من ايمانى بوجود المجرمين التائبين . ولست أرى مايدعو الى اهتمام سكتلانديارد بهذه الامور التافهة ولديها من العمل الجدى ما لو استطاعت اتمامه لضربت على أيدى العابثين بالامن والمستهترين بالقانون .. على انى استطيع ان أصارحك بأمر له قدره وخطره .. فقد حدثت عدة تغييرات هامة فى طرق البحث والاستنباط الجنائى منذ رحل لوبين عن انجلترا .. فاذا عرض وحدثته نفسه بالعبث مرة أخرى بالقانون فانه لن يتمكن من الحصول على النتائج الباهرة التى استطاع أن يظفر بها من الاعيبه وحيله السابقة » .

قرأ تيل هذه الفقرة .. كما قرأ فقرات أخرى غيرها .. بصوته الجهورى وكانت نبراته تشف عن الغضب والانفعال ثم قال معلقا بلهجة احد من السيف :

ـ لم أسمع بعد عن نبأ تقلدك منصب مدير البوليس .. ولكننى أود من أعماق قلبى ان أكون لك أول المهنئين . فان رجلا فى مثل ثقافتك لجدير بمثل هذا المنصب السامى !

فهز المفتش كوريو كتفيه باستخفاف وقحة .. وأجاب:

ـ لقد كنت اتحدث الى أحد أصدقائى .. ولم يكن يدور بخلدى انه سيذيع حديثى فى الصحف .. بل انى بقيت جاهلا به حتى أطلعت عليه فى الصحيفة .

فقلب تيل صفحات الجريدة حتى وصل الى الصفحة رقم ١٦ .. ثم قرأ فقرة أخرى كان قد رسم خطا أزرق تحتها :

« ان المفتش كوريو يختلف اختلافا بينا عن أترابه من رجال سكتلانديارد .. فهو رجل نحيف القامة . أنيق الهندام . نافذ النظرات » .

وضع تيل الصحيفة جانبا .. ونظر الى مساعده نظرة صارمة .. ثم سأله بلهجة باردة :

ـ أحسب انك كنت تجهل ذلك أيضا ؟!

فاحمر وجه المفتش كوريو .. ولاذ بالصمت ..

ورمقه تيل بنظرة الاستخفاف .. ثم هز كتفيه العريضتين .. وشرع يحدثه عن الغرض الذى اجتمعا من أجله .

حدثه عن لوبين ، وحياته الماضية .. وأعماله الحاضرة ومشروعاته المحتملة فى المستقبل .. وأسهب فى وصف

نظراته .. وثيابه . وخلقه . وعاداته . وذكائه . وعقب بذكر بعض المغامرات الهامة التى اشتركا فيها معا .

وختم تيل حديثه قائلا :

ـ ينبغى ان تعلم ان لوبين لم يعد الى انجلترا ليقوم بمغامرات جديدة . انى أعرفه جيدا كما يعرفنى هو أيضا، بل لعله ينفر من الالتجاء الى الاعيبه القديمة لعلمه انى له بالمرصاد . وأن هذه الالاعيب لم تعد تجوز على .. وانى أصارحك بانه ما من أمرىء غيرى يستطيع ان يقف أمام لوبين وقفة الند بالند .. فاذا جاز لأحد رجال سكتلانديارد ان يتحدث عنه الى مندوبى الصحف .. فأنا هو ذلك الرجل .. وأنا وحدى !!

تمهل كوريو ريثما تمر الزوبعة . . فلما انفثا غضب تيل .. قال كوريو :

ـ انى واثق انك أكثر الناس دراية بهذا الموضوع يا سيدى .. فما زلت أذكر المعاونات القيمة التى قدمها لك لوبين فى بعض القضايا .

فاتقدت عينا تيل ببريق الغضب .. بينما استطرد مساعده قائلا بتواضع جم : مهما يكن يا سيدى .. فقد استخلصت لنفسى نظرية خاصة عن لوبين .

فهتف تيل مكررا كأنما نطق الرجل بكلمة نابية يمجها السمع :

ـ استخلصت ماذا ؟

ـ نظرية ياسيدى .. ففى اعتقادى ان الخطأ الذى وقع فيه مطاردو لوبين ، مما جعله ينتصر عليهم ويجعلهم اضحكومة فى عين الرأى العام .. انما هو تلكؤهم فى مطاردته واقتناصه

حتى ينتهى من تحقيق اغراضه .. وعندئذ يهبون للايقاع به فتذهب جهودهم هباء .. انما الذى ينبغى ان يفعلوه هو ان يتكهنوا سلفا باحدى الجرائم التى ألف ارتكابها . ثم يراقبونه بدقة . حتى اذا أقدم على انفاذ جريمته اقتنصوه متلبسا . ولو شئت مثلا على ذلك فاننى أقول ان الصحيفة الموضوعة فوق مكتبك تشتمل على مثل هذه الجريمة .. فقد قرات عنها هذا الصباح ..

فقاطعه تيل بحدة :

ـ أما زلت تتحدث عن نفسك ؟! لو فعلت ... ؟

فهز كوريو نفيا .. وقال :

ـ انى أقصد مستر أوبنهايم صاحب حوانيت الازياء المعروف .. فقد جاء فى الصحيفة ان هذا التاجر الكبير ابتاع مجموعة جواهر فاندروود بربع مليون من الجنيهات ليقدمها هدية زفاف لكريمته .. ولما كنا نعلم كيف حصل وبنهايم على ثروته .. والمثل الاعلى الذى يضعه لوبين نصب عينيه فعندى انه سيحاول ان يرتكب أمرا فيما يتعلق بهذه الجواهر ..

فهتف تيل ساخرا :

ـ يا للعجب .. أتحسبه من البلاهة بحيث يقدم على عمل يدل على قصر النظر كى يقع فى شرك رجل مثلك سقيم التفكير ؟

وتنهد .. وقد افصحت عيناه عن أبلغ معانى السخرية ثم استطرد :

ـ عدد الى عملك .. فقد بلغنى يا كوريو ان المراقبين الصحفيين يحاولون عبثا العثور على شحنة من المربى

الفاسدة يحاول بعض التجار تصريفها فى السوق ..

ولم لم يكن مستر تيل مغيظا من مساعده حانقا عليه . لادرك لاول وهلة ان حديثه ينطوى على ركن منطقى سديد.. ولكن الغضب أعماه ، ومال به عن تقرير ما فى قول صاحبه من حكمه .. فما انقضى يومان حتى نسى كل شىء عن هذا الحديث . ولم يحسب حسابا لما قد ينجم عن تدخل لوبين فى شئون اوبنهايم ..

***

والى الظروف فقط يرجع اشتباك لوبين مع مستر اوبنهايم فى أولى مغامراته انه بعد عودته الى انجلترا ...

ففى احدى الليالى كان لوبين عائدا الى منزله فى ساعة متأخرة .. وانه لسائر فى احدى طرقات سوهو شبه المهجور ، اذا اصطدم بجانبيز ديكسو نفترنحت الفتاة .. وتمالت وكادت تسقط لو لم يخف لوبين الى اسنادها .

وغمغمت الفتاة باعياء : انى آسفة .

فأجابها لوبين ببضع كلمات مناسبة .. وأوقفها على قدميها .. ولكنه أحس بثقل جسمها فوق ذراعيه . وحين تنحى عنها . ترنحت مرة أخرى . وكادت تسقط فمدت يدها وقبضت على ذراعه وتشبثت بها .

وعادت تقول وهى شبه غائبه عن وعيها : اننى آسفة !!

فحسبها ثملة .. ولكنه سرعان ما أدرك خطأ ظنه .. فقد كانت أنفاسها خالية من رائحة الخمر .. وحينئذ تبادر الى ذهنه ان الحادث مفتعل من أساسه وأنه ليس الا مقدمة لها

مابعدها .. ولكنه اذ أنعم النظر الى وجهها . أيقن انها غير مخادعة ولا محتالة .

كان وجهها جميلا .. ولكنه شديد الامتقاع حتى ليحسبه الانسان وجه أحد الاشباح .. تحيط بالعينين هالتان سوداوان .. وبالوجنتين عظمتان ناتئتان أعلا الفكين .. وأما الشفتان فليس عليهما أثر لطلاء .

سألها لوبين : هل من شىء يؤلمك ؟

ـ كلا .. ليس بى من شىء غير اعياء ونصب .. وحسبى دقيقة استعيد فيها هدوئى .

ـ اذن هلمى بنا الى حد المشارب ريثما تستعيدى قواك .

وانطلقا الى مشرب صغير .. وكان الاجهاد والتعب باديين على الفتاة حتى لقد تعذر عليها المسير . فقدم لها لوبين ذراعه .. وحينئذ خيل اليه أنه عثر على الايضاح المنشو دلسلوك الفتاة وحالها .

وجلسا الى منضدة منعزلة .. وطلب لوبين قدحين من القهوة .

ثم قال لصاحبته :

ـ دونك الطعام . فاطلبى منه حاجتك .

فلمعت عيناها ببريق الابتهاج .. وعضت على ناجذيها ثم أجابت :

نعم .. انى بحاجة ماسة الى شىء منه .. ولكنى لاأملك ثمنه .

ـ دعك من التفكير فى الثمن .. فما زالت معى بقيةمن المال تكفى للانفاق هذه الليلة .

وجيء لها بما طلبت . وراح لوبين يرمقها وهى تلتهم طعامها بشراهة وسرعة .. دون ان تنبس ببنت شفة .

فلما أصابت من الطعام حاجتها قال برفق :

- بودى لو كانت لى مثل شهيتك .

فابتسمت .. وكانت ابتسامتها تشف عن الاعياء .. ثم قالت :

- أنى لم أذق شيئا منذ يومين .. ثم أننى ندر ان أصيب كمية كبيرة من مثل هذا الطعام الفاخر دفعة واحدة ..

وفيما كانا يحتسيان القهوة .. أخذ لوبين صندوق لفائفه من جيبه .. وقدمه للفتاة فتناولت لفافة أشعلتها .

ووضع لوبين ساقيه فوق المنضدة .. ومال الى الخلف فى مقعده ..

وحينئذ صارحته الفتاة باسمها .. ولكنها رأى التريث والانتظار . فلم يعقب بذكر اسمه .

وسألها بهدوء : امتعطلة انت عن العمل ؟

فهزت رأسها .. وأجابت :

- لا .. فما زلت أجيرة عند أحد أصحاب الحوانيت .

فرفع لوبين حاجبيه دهشا .. وابتسمت الفتاة لما عراه من الارتباك .. واستطردت : أنى أعمل فى حانوت أوبنهايم .

- لعله لا ينقدك أجرك اذن ؟

- بل هو رجل يوفى أصحاب الحق حقوقهم .. ولكن لعلك لم تسمع بأمره من قبل .. اننى صانعة أزياء .. ولى زميلات أخريات يبلغن الخمسين وكلنا نعمل فى طابق علوى بأحد منازل الوست اند . فنحيك الثياب النسائية الداخلية ونمضى عشر ساعات فى العمل كل يوم . فمن ظهرت على

زميلاتها وأصابت هوى فى نفس كبيرة العاملات منحت شلنا عن كل يوم .. وأما الفتاة العادية فلا حظ لها غير نصف حظ أختها العاملة المجدة النشيطة .. ويباع الثوب مما تخرجه أيدينا بجنيه على الاقل .. فى الاسبوع المنصرم بلغ مجموع أجرى اثنى عشر شلنا . ولكنى كنت مرغمة على وفاء أجر غرفتى ..

كان ذلك الحديث أول خطوة دفعت بلوبين الى زيارة حانوت أزياء مستر أوبنهايم .. ولم تكن هذه الزيارة لمجرد التفرج على المعروضات أو ابتياع شيء منها .. فقد شرع لوبين من فوره فى التغلغل فى اقتصاديات الحانوت .. حتى لقد استطاع ان يعرف كم يتكلف الثوب الواحد على صاحبه وقيمة الربح الذى يجنيه من كل ثوب .. فتبين له مدى الصحة فى كلام جاينز ديكسون .. وتفتحت عيناه فادرك مدى تغافله وتغاضيه عن أمثال مستر أوبنهايم .

وفى الليلة التالية اجتمع لوبين بالفتاة فى احدى المشارب . وابتدرها بقوله :

- كيف تقبلين العمل بمثل هذا الاجر التافه ؟ فما أحسب ان انسانا محترما يستطيع العيش على هذا المبلغ الضئيل .

- وهل غاب عنك يا سيدى ان فتيات كثيرات يتمنين مثل هذا العمل اذا عز عليهن الحصول على غيره ؟ لقد كنت اصيب ثلاثة جنيهات فى الاسبوع لقاء عمل يماثل عملى الحالى ولكنى مرضت أسبوعين . فاتخذ اصحاب الحانوت من مرضى ذريعة لفصلى .. ومن ثم قضيت ثلاثة شهور عاطلة عن العمل فلما عرض على هذا الاجر قبلته مكرهة خشية الموت جوعا .

وروضت نفسى على التقتير ·· واحتمال الجوع والحرمان ·· لانمكن من شراء بعض الثياب ووفاء ثمن العقاقير التى فرضها على الطبيب ·· واذ مضت عدة أسابيع عجزت عن دفع أجر الغرفة التى أقطنها · وتجمدت المبالغ · حتى لقد يئست من الحصول عليها ·· ووفائها ·

فقال لوبين :

— يخيل الى أننى سمعت عن مستر أوبنهايم من قبل أليس هو الرجل الذى دفع ربع مليون من الجنيهات ثمنا لمجموعة من الجواهر ؟

فارتعشت شفتاها دلالة على التهكم ·· وأجابت :

— انه هو بعينه ·· ولقد رأيت هذه الجواهر يوم عهد الى بحياكة ثوب لابنته ·· فانى أبرع بقية العاملات فى فنى ·· ولست اكتمك اننى أعجبت ايما اعجاب بتلك المجموعة النادرة من الجواهر ··· وتمنيت لو أنها كانت لى ·

فقال لوبين وهو لا يزال مستغرقا فى التفكير :

— تقولين انك ذهبت الى منزله ؟ وانك رأيت الجواهر؟

وأمسك ·· وراح يدخن هنيهة ، وقد عقد مابين حاجبيه متأملا ·

وحين التفت اليها ثانية · كان وجهه جامدا لاينم عما
وسألها فجأة : أين ستقضين ليلتك ؟
يجيش بصدره ··

فهزت كتفها ·· وأجابت :

— لست أدرى ·· فقد قلت لك أنى مدينة لصاحب الدار بأجر ثلاثة أسابيع · ولا أحسبه سيسمح لى بدخوله ما لم أوف الاجر ·· والرأى عندى ان قوم بجولة على شاطىء نهر

التايمز ، لعلى أعثر على بقعة صالحة للنوم ·

فابتسم لوبين ·· وقال بصراحة :

— انها نومة صحية ·· ولكن الطقس رطب الليلة ·· أصغى الى ·· ما رأيك فى ان تنطلق الى مكان هادىء على مقربة من هنا ، فاستأجر لك منه غرفة صغيرة ؟ ان المكان هادىء ونظيف · ثم انى لا آقيم به · كل ما بغيه انما هو ان أفعل شيئا من أجلك ·· وغدا نتقابل لنتناول طعـــام العشاء ! ولنتحدث معا فى موضوع الجواهر ·

وقد التقيا فى مساء اليوم التالى ·· فقصدا الى مشرب
هادىء ونظيف · ثم انى لا أقيم به · كل ما أبغيه انما هو
وما هى الا ثوان حتى أحاط لوبين بكل ما كان يريد الاحاطة به ·

قالت الفتاة :

— ان الجواهر فى مكتبة أوبنهايم ، فى الطابق الاول من المنزل · وغرفة ابنته ملاصقة لغرفة المكتبة ، ويفصلها عنها جدار غير سميك ·· ولقد رأيت مستر أوبنهايم يعرض الجواهر على ابنته أمس ·· وسمعته يقول انه لا يردعها خزانته السميكة فى المكتبة لانه لجأ الى حيلة شيطانية لاتخطر على بال أدهى اللصوص وأشدهم ذكاء · وقد أفاض مستر أوبنهايم فى شرح خطته وما تنطوى عليه من خبث وحذق قال : ان أول ما يخطر ببال الباحث عن الجواهر أننى احتفظ بها فى الخزانة · وعلى هذا الاساس يبدأ عمله وهذا يقتضيه وقتا طويلا ومجهودا جبارا ·· يهيىء لنا كثيرا من الفرص

لاقتناص مثل هذا اللص الاثيم ٠٠ ولهما يكن فلو انه نجح
فى فتح الخزانة لاصيب بفشل ذريع ، ولضاعت جهوده هباء
فما من انسان يستطيع ان يصدق أننى احتفظ بجواهر تقدر
قيمتها بربع مليون من الجنيهات خلف بعض المجلدات
المرصوصة فوق الارفف ٠٠ حتى البوليس السرى الخاص
الذى استخدمته لحراستها يجهل تلك الحقيقة ٠ وكل ما
يعرفه ان عمله ينحصر فى المحافظة على الخزانة من عبث
اللصوص ٠ فقال لوبين :

- اذن فقد استأجر مستر أوبنهايم أحد رجال البوليس
السرى الخاص لحراسة الخزانة ؟

- نعم ٠٠ انه رجل من مكتب انجربك ٠٠ وهو يذهب
الى الدار فى السابعة من مساء كل ليلة ٠ ويبقى فى المكتبة
حتى يستيقظ الخدم فى الصباح وفى الدار ساقى خشن
المظهر سيىء المخبر ٠ لعله وحده يكفى لدرء خطر اللصوص
والطامعين فى الاستيلاء على جواهر فاندروود ٠ وهذا الرجل
هو الذى يتولى الاهتمام بأمر هذه المجموعة أثناء النهار ٠
ولكن أخبرنى لم تستقى كل هذه المعلومات ٠

- لشغفى واهتمامى بقصص الجواهر فحسب !

فلمعت عيناها ببريق الادراك ٠ وحدجته بنظرة تنطوى
على الصراحة ٠٠ ثم سألت :

- أهذا ما كنت تعنيه من قولك انك تريد ان تفعل شيئا
من أجلى ؟ الا تظن انه فى استطاعتك ان تسدى الى احدى
الخدمات اذا أمكنك الحصول على الجواهر ؟

أشعل لوبين لفافة تبغ جديدة بيد ثابتة متمهلة ٠ وأدار

عينيه الزرقاوين الى الفتاة بمنتهى الهدوء قبل ان يجيب عن
سؤالها ٠

وقال : هذا ما كنت أفكر فيه فى الواقع ٠

فلم تنذعر أو تجفل ٠٠ وراحت ترمقه بنظرة جدية رزينة
كأنما كانا يتناقشان فى مر مستقبلها والعمل الجديد الذى
تستطيع الحصول عليه ٠

ثم قالت بلهجة رقيقة :

- لم يسرنى لو استطاع انسان أن يجرد ذلك الصعلوك
من كنزه الثمين ٠٠ مثل هذا الرجل جدير بالاعجاب والتكريم
ولست اكتمك أننى على استعداد للقيام بهذا العمل لو أن
بوسعى اتمامه ٠٠ اخبرنى ، هل سبق ان ٠٠ سرقت ؟

فقال لوبين بصراحة ، وتواضع :

- نعم ٠٠ لطالما طرقت هذا الباب ٠٠ ولعلك قرأت عنى
... ادعى رسين لوبين ٠

فحملقت الفتاة فى وجهه دهشة غير مصدقة ٠ وهتفت :

- أنت ! أنت أرسين لوبين ؟! ألا تريد التغرير بى ؟!

واستحالت نظرتها الدهشة الى أخرى فيها بريق
التصديق واستطردت :

- ولم لا تكون أرسين لوبين ؟ لقد رأيت احدى صوره
ذات مرة ٠ لو إنى واثقة من أنك لوبين حقيقة لاستطعت أن
أمد اليك يد المعونة فى القضاء على هذا الوغد أوبنهايم وليكن
بعد ذلك ما يكون ٠

- ثقى اننى هو بعينه ٠٠ ففى استطاعتك اذن أن تمدينى
بكل الدقائق التى تذكرينها عن خدم منزل أوبنهايم ، وأعمالهم
وكيفية قيامهم بتلك الاعمال ٠

ولما كانت الفتاة قد ترددت على دار مخـــدومها مرات عديدة .. فقد أجابته الى طلبه . وذكرت له كل نافع من المعلومات التى ينشدها .. وقد أقبل لوبين على الفتاة بكليته وأصغى اليها باهتمام .

وانقضت ساعتان على هذا الحديث . ثم غادر لوبين وفيقته المشرب الى أحـد المراقص .. حيث اندمجـا مع الراقصين والراقصات وراحا يدوران فى أرجـاء القـاعة متخاصرين لاهيين عن كل ماحولهما . وانهما لكذلك ، اذ خطرت للوبين فكرة طارئة وجد فيها الحل الذى ينشده . حين عادا الى منضدتهما عقب الرقص . أشعل لوبين لفافة تبغ .. ثم قال بحدة :

ـ لقد فكرت فى حل بسيط ملائم .. وهذا الحـل سيمكننى من الاستيلاء على جواهر الاخ أوبنهايم .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ سمعتك تقولين انهم يعهدون الى أحد رجال انجريك بحراسة المكان أثناء الليل .. ولاريب ان الخدم يقـدمون للحارس طعام الافطار عندما يستيقظون من نومهم .. فاذا أصاب الرجل حظه من الطعام انصرف لشأنه . أليس كذلك؟ هذا بديع فى استطاعتى اذن آن أؤدى هذا الواجب نيابة عن حارس انجريك ، وذلك نظرا لمرض مفاجىء ألم به .. أو مصيبة داهمته .. أو مركبة مرت فوقه .. أو ماشابه ذلك مثلا .

ففغرت الفتاة فاها دهشة واعجابا .. وصاحت :

ـ ولكنه عمل ينطوى على أشد الخطر ... فهل تسطيع أن تقوم به ؟

ـ بالتأكيد .. فأنا رجل أكره مستر أوبنهايم ولو أنى لم أره من قبل .. ثم ان مبلغ ربع مليون من الجنيهات يسيل اللعاب بغير شك .. ولما كان مستر أوبنهايم رجلا سيىء التصرف لا يحسن استخدام مثل هذا المبلغ الضـخم فى مشاريع قيمة كالتى تدور بخلد شخص مثلى .. فاننى ..

ـ ولكن متى ستقدم على سرقة الجواهر ؟

ـ فورا .. أو على الاقل فى هذه الليلة .

وأمسك .. فقد أدرك أنه قد شطر . فمن الجنون ان يندفع فى حديثه بمثل هذه الصراحة مع فتاة مهما كان شأنها فانها مازالت غريبة عنه .

واستطرد بعد هنيهة :

ـ أخشى ان يكون فى التعجل بالعمل جر للمتاعب .. ومن المحتمل ان يقتضينى انفاذ هذه الخطة انتظار يوم أو يومين ريثما أتمكن من الحصول على بعض المعـلومات عن مندوب مكتب انجريك .. ومن ثم أفكر فى الطريقة التى تخلصنى من مضايقته ليلة زيارتى لمنزل مستر أوبنهايم .. اذن فلنجعل يوم الجمعة موعدنا .

فأومأت برأسها فى حركة ساذجة بريئة .. وقالت :

ـ هذا أوفق .. يخيل الى أنك واثق من النجاح . فان لهجتك تشف عن ذلك .. لكن ما الذى ستفعله بالجـواهر بعد استيلائك عليها ؟

ـ سأبيعها ما فى ذلك ريب .

ـ لا أظن أنك سـتوفق الى بيعها بالسـهولة التى تتصورها .

– بل سأوافق فهناك سبل وطرق تذلل أية عقبة قد تعترض البيع .

– لا أظن ذلك .. بل أنا واثقة انك ستعجز عن التخلص وسارقها معا .. فلو أنك عرضت قطعة من المجموعة على منها .. فكل قطعة من مجموعة مشهورة كهذه تفضح بائعها أحد تجار المجوهرات لعرفها من فوره .. وألقى القبض عليك .

فابتسم لوبين وقال :

– هناك فى شارع بوند حانوت صغير يستطيع الانسان ان يلجأ اليه من الساعة السادسة الى الساعة الثامنة مساء كل ليلة اذا أعجزه بيع أى قطعة من الجواهر ولو كانت من جواهر التاج نفسه ، فلو أنى استطعت ان استعير جواهر أوبنهايم ليلة الجمعة . ففى استطاعتى ان اتخلص منها مساء السبت على أكثر تقدير .. ومن ثم نتقابل للاحتفال بهذا الفوز المبين .. ونتحدث عن أجمل بقعة نذهب اليها حيث تقضين أجازتك فى هدوء وسعة من العيش .

وفيما كان يسيران عائدين الى منزلها . راح لوبين يتحدث اليها بمرح وطرب . ولا عجب . فقد كان ذلك شأنه حين تختمر احدى الخطط فى رأسه . ولا ينقصها غير التفاصيل والدقائق .. التى سرعان ما تثب الى مخيلته وتسد النقص كما لو كانت مقذوفات انطلقت من بنادق قوية .

وقد طغى عليه شعور الغبطة والمرح . حتى لقد نسى أنه ترك الفتاة دون ان يقنعها بقبول بعض المال تسد بها حاجياتها الضرورية .. أو يتفق معها على موعد للقائهما التالى فعاد أدراجه الى منزلها .. فى خطى سريعة خفيفة ..

ومن عجب ان الصدفة التى طالما غيرت مجرى حياته بشكل غير مألوف ولا معقول هى التى خفت الى نجدته فى تلك الليلة . ومهدت له السبيل لتفادى نكبة ماحقة كانت تدبر له فى الخفاء .

***

كانت ردهة الدار ضعيفة الضوء ، تقوم على جانبيها أوعية كبيرة غرست بها أشجار كثيفة تمكن القادم من الخارج من الاحتجاب عن أنظار الموجودين بالداخل .. ولما كان أرسين لوبين رجلا حريصا بطبعه ، فقد نفذ من الباب الخارجى الى الردهة بهدوء وحذر .. وهم بتخطى سياج الاشجار الكثيفة حين سمع شخصا يتكلم فى الردهة .. وتناهى الى أذنيه اسم جعله يجمد فى مكانه مصعوقا .

فقد سمع اسم كوريو يتردد على لسان هذا الشخص .

وبقى لوبين ملازما مكانه ، لايتحرك ولايطرف .. وأصاخ السمع لحديث شيق كان دائرا بين شخصين .. فلما سمع ما فيه الكفاية تسلل بهدوء من الدار وسار الى منزله بخطى متزنة دون ان يفكر فى العودة الى جانيز ديكسون ثانية .. لانهماكه فى التفكير فى الحديث الذى سمعه خلسة منذ هنيهة

ولو قد عرف المفتش كوريو بما كان من استراق أرسين لوبين السمع لذلك الحديث الهام ، لفارقه هدوؤه وثبات جنانه .. ولكنه كان جاهلا بذلك ، فملأه الغرور بنفسه ، ومغالاته فى تقدير مواهبه الخاصة ، فلم يقم وزنا لاية عقبة أو صعوبة قد تعترض سبيل الخطة التى كان يرسمها للايقاع بغريمه العنيد .

فاذا كان يوم الجمعة بعد الظهر ، التقى كوريو برئيسه

المفتش تيل . وكان الاول على حاله من الغرور والمغالاة فى الثقة بنفسه .. واستطاع ان يقنع تيل بوجاهة رأيه .. وارغمه على مجاراته فى السبيل التى عول على سلوكها .

قال تيل : أكبرظنى ان أوبنهايم مازال محتفظا بجواهره

فلم تختلج عضلة واحدة فى وجه المفتش كوريو . وأجاب

- لا تدهش اذا علمت انها لن تبقى فى حوزته طويلا .. ولا تلومنى اذا ظفر لوبين بها ما بين لحظة وأخرى . فحسبى اننى أنذرتك مرة . فرفضت الاصغاء ..

فقال تيل مؤمنا :

- نعم .. انك أنذرتنى من قبل .. لكن متى سترحل الى هوليود لتقوم بدور شرلوك هولمز ؟

فقال كوريو بتجهم وعبوس :

- من يدرى ؟! لعلنى لا أتأخر طويلا . فان شركة باراجون قد أولتنى شيئا من اهتمامها .. وأتفق ان رآنى أحد وكلائها وانا العب الدور الرئيسى فى آخر مسرحيات بوندر ، فأعجب بى ، وعرض على أن يختبرنى أمام الكاميرا. فرفضت مؤقتا .

فكشر تيل عن ناجذيه .. وقال متهكما :

- أحقا . ولكن ما رأيك فى أنهم بدأوا فى تصوير مناظر قصة « المرأة الصغيرة » وعلى هذا لا أحسبهم سيعهدون اليه بالاشتراك فيها .

ولكن سرعان ما ندم تيل على بعض هذه الملاحظات القاسية فى صباح اليوم التالى ، حين بلغه نبأ اختفاء مجموعة جواهر مستر أوبنهايم .. فقد حملها الحارس المعين من قبل مكتب انجربك معه ، وانصرف بها فى هدوء وسلام ..

وحين اتصل مستر أوبنهايم بمكتب انجربك ، وروى لهم قصته المؤلمة ، أجابوه بأنهم تلقوا بعد ظهر أمس مكالمة تليفونية بوقف الحراسة ، وقدموا وثيقة كتابية بهذا الخصوص وصلتهم بعد مضى عدة ساعات على تلقى المكالمة التليفونية مدبجة ببراعة مستر أوبنهايم ومذيلة بما يعتقدون اعتقادا جازما بأنه توقيعه .

ولقد ساء مستر انجربك تصرف مستر أوبنهايم ، حين اتصل به شخصيا وانحى عليه باللائمة .. ثم سأله عن عدد اللصوص الذين يستخدمهم فى مكتبه .. وما كان من تعقيبه بقوله انه سيعمل على الغاء « مكتب انجربك للصوص » ، على حد قوله .. فلما احتج مستر انجربك على هذه اللهجة المهينة سأله مستر أوبنهايم عما يعتزمون عمله لاسترداد الجواهر المفقودة ، فأجابه صاحب المكتب بأن هذا من شئون البوليس الرسمى ، وليس من شئونهم .

وما ان أبلغ نبأ السرقة الى المفتش تيل حتى أسرع الى منزل مستر أوبنهايم ، وبرفقته **المفتش كوريو** .

ومن العبارات الملتهبة التى كانت تتدفق من فم مستر أوبنهايم ، استطاع رجلا البوليس ان يستخلصا الحقيقة ، ومجملها ان الحارس المزيف جاء الى الدار فى الساعة المحددة من مساء أمس .. وقال ان الحارس المعين من قبل المكتب قد مرض فجأة .. ثم أبرز الاوراق التى تجيز له أن يحل محله ومن ثم قاده الساقى الى غرفة المكتبة . وهناك قضى الليل وحده ، فاذا كان الصباح قدم له الخدم طعام الافطار حسب العادة .. وحين غادر الدار كان يحمل فى جيبه ثروة تقدر

بمبلغ ربع مليون من الجنيهات ٠٠ دون أن يفطن أحد الى ذلك ٠

وقد وجه تيل بضعة أسئلة للساقى ٠٠ واستفسر عن مميزات اللص ٠٠ ولكن هذا عجز عن مده بوصف دقيق نظرا لعدم ريبته فى الحارس ، ونواياه ٠

قال الساقى ان الرجل طويل القامة ، يضع عوينات زرقاء فوق عينيه ، وله شعر أحمر غزير ٠

وتحول كوريو الى تيل ٠٠ وقال ساخرا :

ـ لاشك ان حديث العوينات والشعر الاحمر لاقيمة له فما هو الا شعر مستعار ٠٠ وأنا واثق من أن اللص هو أرسين لوبين ولا أحد غيره فأنت تستطيع ان تتلمس آثاره وطريقته فى العمل مما حدث ٠٠ ألم أقل لك ذلك من قبل ٠ فلم تصدقنى ؟!

فزمجر تيل قائلا :

ـ ماذا بحق الشيطان تعنى ؟ أتظننى جاهلا أحمق ؟ ٠

وانحسر عنه الغضب ٠ بعد أعمال الروية والفكر ٠٠ ثم استطرد :

ـ مهما يكن من شىء ٠ فانك مذهوب بك ٠٠ ولا أصبع للوبين فى الحادث ٠ فهز كوريو كتفيه استخفافا ٠ وسأل :

ـ أتسمح لى بتحقيق الحادث ياسيدى ؟

فأخرج تيل قطعة من (اللبان) وراح يلوكها بين أسنانه بغضب ووحشية ٠٠ ثم أجاب :

ـ من ؟ أنت ؟! كلا ٠٠ اننى سأتولاه بنفسى ٠

ثم اتقدت عيناه فجأة ٠٠ واستطرد :

ـ حسنا ٠٠ مادمت تعتقد انك ملم بأطراف الحادث ٠

مطلع على خفاياه ، فانى اسمح لك بأن تشترك معى فى البحث ٠

وكان مستر أوبنهايم قد انحسر عنه الغضب قليلا فى تلك الاثناء ٠ فتحول اليهم ٠٠ وهتف :

ـ ما رأيكما ايها السيدان ؟ مارأيكما فى هؤلاء اللصوص فى شركة التأمين اللعينة التى استولت على جميع أموالى ٠٠ لقد انذرونى منذ هنيهة بفسخ (البوليصة) متذرعين بسببه واه ٠٠ وهو اننى خالفت نصوص العقد ، وخبأت الجواهر فى مكان غير المتفق عليه ٠٠ الا تبا لهم من حمقى لقد ظننت اننى استطيع الاحتفاظ بالجواهر بعيدا عن أيدى اللصوص ان انا وضعتها فى اى مكان آخر عدا الخزانة الحديدية ٠

فقاطعه مندوب شركة التأمين قائلا :

ـ لقد خالف مستر أوبنهايم النصوص المتفق عليها فى العقد ٠٠ وهى تقطع بانه فى حالة ابقاء الجواهر فى المنزل، ينبغى وضعها فى الخزانة على أن يتولى حراستها احد رجال البوليس السرى الخاص ، ينتدب من مكتب موثوق به ٠

ولكن مستر أوبنهايم خرق نصوص العقد الصريحة ، ففى هذه الحالة ٠ فصرخ أوبنهايم هادرا :

ـ هذا احتيال شائن !! ما شأنى بشركة التأمين ٠٠ لابد ان أفسخ جميع عقودى معها ٠٠ وعما قريب سأبتاع الشركة لحسابى وأقذف بكم جميعا الى الطرقات لتهلكوا جوعا ٠٠ اننى على استعداد لان أهب مكافأة ضخمة لمن يأتينى بالجواهر او يرشدنى الى سارقها ٠٠ سأدفع مائة ٠٠ أعنى خمسة آلاف من الجنيهات لمن يعيد الىجواهرى ٠

فأسرع لمفتش كوريو وسأله قائلا :

- هل سجلت هذه الهبة كتابة ؟

- لا .. ولكنى سأفعل ذلك فى التو .. ألا لعنة الله على هؤلاء النصابين !! سوف ألقنهم درسا قاسيا لا ينسونه مدى الحياة !

وتناول قلم المداد من جيبه .. وتقدم من المكتب ليحرر شيكا بالمبلغ محولا على مصرفه . فصاح تيل يستوقفه :

- مهلا لحظة !

ولكن أوبنهايم لم يعره التفاتا .. فاستدار تيل الى مساعده ، وقال :

- الرأى عندى انه ينبغى أولا قبل أن نفكر فى وجـود المكافأة أن تطلعنا على مدى ذكائك ومهارتك الفذة .

- على رسلك يا سيدى .. على ان نبدأ بحثنـــا على أساس النظرية التى صرحت لك بها من قبل .. ثم أنه من المتعذر ان يتخلص اللص من مثل هذه المجوهرات النادرة مع الحصول على ثمن يناسبها ويرضى جشعه .. وأنى اعرف مكانا واحدا فى لندن يستطيع اللص ان يلجأ اليه ويحصل على بغيته من المال لقاء هذه المجوهرات النادرة .

فصاح تيل بحدة :

- اذن لماذا لا تسارع بالقبض على السارق قبل أن يفر بثمن غنيمته الباردة ؟

- ذلك لأنى لم أحصل بعد على الادلة النافية لادانته . ولكنى واثق من اقتناصه متلبسا هذا المساء .

ولم يعبأ كوريو كثيرا بالتحقيق الرسمى الذى بدأه تيل بعد هنيهة .. ولكنه عاد يلح ويلحف على رئيسه بالعمـل طبقا لنظريته ، لثقته من سدادها وصوابها .

وقد عزز رأيه هذا بقوله :

- وعلى فرض انه لادخل للوبين فى الحادث ، فاننى واثق من أن السارق سيلجأ الى الحانوت الذى حدثتك عنه .. فينبغى الا نغفل هذه الحقيقة الهامة .. لست أجهل انك لا تقدر آرائى ولا تقيم لها وزنا يا سيدى .. ولكن امنحنى هذه الفرصة ، فقد أكون مصيبا .. وحسبى شفيعا لديك ما أظهرته الايام من صدق افتراضى السابق الذى رفضت الاصغاء اليه . من العدل يا سيدى ان تمنحنى فرصة أخرى .

وعلى رغم ارادته ، اقنع تيل نفسه بأن يعدل ولو لمرة واحدة .

قال بخشونة : حسنا .. أين يوجد ذلك الحانوت الذى تتحدث عنه ؟

***

فأجاب كوريو ليكن موعدنا الساعة الخامسة الا ربعـا هذا المساء .

* * *

سار أرسين لوبين فى بوند ستريت .. وهو يشـــعر بطرب عظيم .. ولطالما شعر بكثير من الهدوء والرضا فى مثل موقفه الحالى .

وفى احدى يديه كان يحمل حزمة صغيرة يهزها أماما وخلفا كلما خطا خطوة واحدة .

ومن باب أحد المنازل القريبة من حدائق برلنجتون برز المفتش تيل وقبض على ذراع لوبين بعنف .

واستدار لوبين على عقبيه .. وما أن وقع بصره على صديقه القديم حتى تهللت أساريره .. وابتسم ابتسامة عذبة رقيقة .

ثم هتف : آه ! أهذا أنت يا تيل ؟! هذا من حسن الحظ ولا شك . فأنت الرجل عينه الذى كنت أبحث عنه .

وحينئذ وقع بصر لوبين على المفتش كوريو وهو يتقدم نحوه ترتسم على وجهه دلائل الظفر والانتصار .

وابتسم لوبين مرة أخرى .. ثم قال بتأدب : مرحى يا كوريو .

فقبض كوريو على ذراع لوبين الاخرى .. ثم دفعة دفعة فنية سريعة ، جعلته يتقهقر الى باب المنزل الذى برز منه ..

وتحول كوريو الى تيل .. وقال :

- يبدو اننى كنت على حق .

فظل تيل ممسكا بذراع لوبين ، وراح يرمقه بنظرة غاضبة من عينيه اللتين تشبهان عينى الضفدعة .. ولكنها لم تكن كنظرة الغضب التى يرمق بها الناس بعضهم بعضا فى مثل هذه المواقف .

ثم قال بغباوة وتبلد : أيها الاحمق الشرير !! لماذا أقدمت على هذا العمل القبيح ؟ لقد أخبرتك حين جئتنى زائرا أنك لن تتمكن من الهرب بحملك الثمين .

فسأل لوبين بسذاجة : أى حمل ؟

فجذب كوريو الحزمة من يد لوبين بعنف . وشرع يمزق غلافها بسرعة ولهفة .. وقال : أظن ان هذا ما نبحث عنه .

فلما انصدع الخيط .. وتمزق الغلاف الخارجى الفى كوريو نفسه ممسكا بصندوق صغير من ورق الكرتون .

وفتح كوريو الصندوق على عجل ، فاذا بداخله طبقة من أوراق النسيج فانتزعها باصابع مرتجفة ، وقذف بها

وقع بصره فى قاع الصندوق على دمية (عروسة) من دمى الاطفال قد لفت فى ثوب أنيق . ولها وجه مألوف لكوريو وقد أحاط بعنقها شريط عليه رقعة مكتوب فوقها مايلى: «مجموعة أبطال السينما رقم ١٢ كلارك جيبل ٢ – ١١» .

وما أن رأى المفتش تيل محتويات الصندوق حتى انفرجت اسارير وجهه المحتقن .. وبدا عليه الارتياح والسرور فكان مثله كمثل رجل يقف عند فوهة بركان يرى الحمم ينفثها من جوفه فجأة .. فتتطاير من حوله كالبالونات ولكنها لا تصيبه بأذى .

وأما كوريو فقد اجهم وجهه ، وغلى مرجل الغضب فى صدره ، فأخذ يمزق الصندوق ويفحص اجزاءه بعناية خشية أن يكون بينها مخبأ اخفيت بداخله قطع الجواهر الثمينة . فلما وثق من عدم وجود شىء بداخلها قذف بها جميعا الى الارض مغيظا محنقا .

ثم تقدم من لوبين .. وراح يصعده بنظراته . كأنما يهم بالتهامه .. وصاح بوحشية : أين هى ؟

فسأله لوبين بخشونة : أين ماذا ؟

فقال كوريو من بين أسنانه :

- أنك تعلم حق العلم عما أتكلم .. ماذا فعلت بالجواهر التى سرقتها من منزل أوبنهايم ليلة أمس ؟؟ أين جواهر فاندروود ؟

فأجاب لوبين برفق :

- آه ! هذا سؤال مضحك .

واستند الى الجدار الذى أرغمه كوريو على الالتصاق

به ‥ ثم أخرج صندوق لفائفه من جيبه ‥ فأخذ منه واحدة اشعلها ‥ ونظر الى تيل ‥ ثم قال فى هدوء :

- أقول لك الحق ، ان هذا ما كنت أبغى مقابلتك فى شأنه ‥ فاذا كنت حقا شديد الاهتمام بمعرفة مصيرجواهر فاندروود فانى على أتم استعداد لان أطلعك على مكانها فى الوقت الحاضر ·

وماتت الضحكة على شفتى تيل ‥ وحلت محلها نظرة انزعاج ، كتلك التى ترتسم على وجه كلب القيت اليه عظمة غير مترقبة ‥ فلما أقبل عليها ينتزع بقايا اللحم منها ‥ حرمه بعضهم منها فجأة ·

وقال بتمهل : اذن فلك ضلع فى المسأله ؟

فأجاب لوبين : أننى أعرف كثيرا من المعلومات عن هذا الحادث ‥ هلم بنا نستقل سيارة ·

ثم استوى بعيدا عن الجدار ‥ فبدا على كوريو كأنه يهم بدفعه مرة أخرى الى ناحيته ، ولكن تيل نظر اليه يحذره ، وكانت نظرته أبلغ من محاضرة طويلة · فسكت واستكان ·

ونظر لوبين الى تيل بعينين ضاحكتين ‥ ولكن المفتش تبين من خلال نظرة غريمه العتيد ان فى الامر شيئا ‥ فتراجع الى الوراء وافسح الطريق للوبين ، فتقدم هذا بخطى ثابتة مطمئنة من سيارة كانت تقف على مقربة ‥ وفتح بابها ، ثم أشار الى رجلى البوليس بالركوب ·

سأل تيل والسيارة تنحدر الى ساحة بيكادللى :

- الى أين نحن ذاهبون ؟

فابتسم لوبين ‥ وأشعل لفافة تبغ ضاربا صفحا عن سؤال تيل ·

وما هى الا هنيهة حتى بدأ حديثه قائلا :

- يحكى انه كان هناك مفتش أنيق بين مفتشى سكتلانديارد وكان هذا المفتش لبقا ذكيا ‥ استطاع بعد خدمة بضعة أعوام فى البحث الجنائى العادى ان يكتشف ان الصعوبة الرئيسية فى هذا البحث انما تنحصر فى كيفية العثور على مرتكب الجريمة ‥ وهذا يؤدى غالبا الى عمل كثير مرهق وفشل ذريع متعاقب ‥ ولما كان هذا الشخص لبقا كما قلت فقد استنبط وسيلة أسهل أساسها اقناع اللصوص بالكشف عن مستور أسرارهم ‥ فمثلا لنفرض أن لصا سرق مجموعة ثمينة من الجواهر ولكنه لم يشأ أن يخبئها فى ثلاجة خشية أن يتجمد فوقها الثلج ‥ ففى استطاعته ان يلجأ الى المفتش اللبق طلبا فى حل سهل هين ‥ وعندئذ يطيل مفتشنا الماهر التفكير والتأمل ‥ ثم يقول حسنا يا سارق الكنوز ‥ ان المسألة بسيط حلها ‥ فى استطاعتك أن تذهب وتخفى هذه الجواهر فى (مهفة الغبار) فى شارع جريك ‥ أو أن تعلقها فى احدى الاشجار بهايد بارك · أو ما شابه ذلك ‥ وسأقوم أنا ببعض التحريات التى تدل على طول الباع فى البحث الجنائى ‥ وأعثر على الجواهر ‥ وعندئذ استولى على المكافأة التى تهبها شركة التأمين ‥ ثم نقتسمها معا ‥· ولا ريب ان هذه الصفقة ترضى أى لص فى لندن · ولكنها من ناحية أخرى تحرم حوانيت شراء الامتعة المسروقة من حق الحياة ·

وكف لوبين عن الكلام ‥ وكانت السيارة قد وقفت فى

تلك اللحظة أمام فندق حقير بالقرب من شارنج كروس ·

ومال مستر تيل الى الامام فى مجلسه ·· وراح ينظر الى لوبين فى دهشة وعجب ·· وقد ارتسمت فى عينيــه تلك النظرة الكسولة المتبلدة ·

ثم قال بصوت أجش : استمر

فهز لوبين راسه سلبا ·· وأشار الى باب الفندق قائلا:

- ينبغى أولا ان نغير المنظر ·

وهبط من السيارة · ونقد السائق أجره ·· فتبعــه مفتشا البوليس صامتين الى الفندق ·

وكان تيل هادىء الوجه ، جامد النظرات ·· وأما كوريو فقد فر لونه وبدأ عليه الاضطراب والقلق ·

وتوقف لوبين فى الدهليز ·· والتفت الى كوريو وقال:

- هل لك ان تطلب المفتاح أم اتولى عنك ذلك ؟ لخير ألف مرة ان تطلبه أنت من ·· ثم استطرد بلهجة رقيقة :

- فان الحمال لاريب يعرفك جيدا ، حتى ولو كان يجهل اسمك الحقيقى ·

فقال كوريو ببرود : انا لا أفهمك · عم تتكلم يا سيدى؟ ثق انك اذا كنت تفكر فى السخرية منا ·· والهزء بنا ·· أو اقصائنا عما نسعى اليه باحدى اقاصيصك الكاذبة، فانك ولاريب تضيع وقتك ·

ثم تحول الى تيل ·· واستطرد :

- ان لى غرفة فى الفندق يا سيدى ، وكثيرا ما الجأ اليها اذا اقتضت دواعى العمل بقائى فى المدينة الى ساعة متأخرة من الليل · انى لم أستأجرها باسمى الحقيقى لانى حسنا يا سيدى · اننى أبغض أن يعرف الناس من أنا وقد

استطاع هذا الرجل ان يعرف سرى بوسيلة ما ، ولعــل الآن يحاول ان يضللنا لينجو من العقاب الذى ينتظره ·

فقال تيل برقة غريبة :

- مهما يكن ، فانى أحب آن أصعد معه ، فمازلت متلهف الى سماع المزيد من هذه القصة السخيفة ·

فاستدار كوريو على عقبيه ·· ومشى الى الكاتب ·· وطلب منه مفتاح الغرفة ·· ومن ثم ارتقوا الدرج الى الطابق الثالث ·

كانت غرفة حقيرة ، تنتشر فى أرجائها قطع الاثاث بغير عناية ولا ترتيب ، فأجال المفتش تيل بصره فى أرجائها · ثم نظر الى لوبين متسائلا :

وقال : استمر يا لوبين ·· اننى مصغ اليك ·

فجلس لوبين على حافة الفراش ·· وأخذ ينفث الدخان من فمه فى حلقات متتابعة ·· وظل يرقبها وهى تتصاعد فى الهواء ثم تتلاشى ·

وأخيرا قال : كان من المحتمل ان يتمادى صاحبنا فى فعاله ·· وآساليبه ، لم يفكر فى طريقة أكثر ادرارا للكسب وهى قرن العمل بالسعى وراء الحصول على المكافآت ·· فخطر له ان يحظى بشرف ايقاع اللص المشهور أرسين لوبين فيرتفع نجمه عند رؤسائه ·· ويظفر بالمكافأة القيمة التى ستعرضها شركة التأمين · وصــاحب جواهر فاندروود لاسترداد هذه المجموعة النادرة ·

وقد هداه شيطانه الى حيلة بارعة ·· فاستخدم فتاة صغيرة جميلة ·· (ينبغى ان تراها يا تيل فهى فتاة ظريفة

تعتقد اعتقادا جازما أن لوبين لا يفر من وجوه الحسان ولو أدى ذلك الى دماره) أعود فأقول أن هذا الشخص الفذ استخدم تلك الفتاة للايقاع بأرسين لوبين .. وزودها بقصة مدهشة عن سوء الحظ ، وما يعانيه المرء من الجوع والغربة ولعمرى لقد برهن على طول باع وحسن خبرة بفن الاخراج فاستطاعت الفتاة ان تثير فى نفس أرسين لوبين الاهتمام بجواهر مستر أوبنهايم ، بل لقد جعلته يعتقد ن مجرد تجريد ذلك الصعلوك (أوبنهايم) من جواهره لهو أعظم عمل انسانى يمكن ان يسديه للمجتمع .

ولم يقتصر هذا المخرج البارع على اغراء ارسين لوبين بالاهتمام بأمر جواهر أوبنهايم ومحاولة سرقتها . انما احتاط لكل طارىء قد يجد . فزود صنيعته بالدقائق والتفاصيل اللازمة لتستطيع اقناع لوبين بأن الامر لا يحتاج الى كبير عناء أو جهد .. وهكذا يتسنى للمفتش الانيق أن يضرب عصفورين بحجر واحد وهو آمن مطمئن على سلامته ومركزه .

ومسك لوبين .. وابتسم ابتسامة الحالم ثم استطرد بعد هنيهة :

- وقد اتفق لسوء الحظ ان التقيت بالفتاة التى اتحدث عنها فى وقت لم تكن تتوقع لقائى فيه .. وسمعتها ذات مرة تتحدث تليفونيا مع شخص يدعى كوريو .. وفى أثناء حديثهما سمعتها تقول له اننى وقعت فى الشرك ، وان النصر مكفول . ولا خطر البتة عليهما من عدولى عن سرقة جواهر أوبنهايم . ولما كنت قد أطلعت فى صحيفة « بولدوج » على حديث جاء على لسان كوريو هذا هذا ، وفيه بعض فقرات تتعلق بى .. فقد أثار ذلك اهتمامى بالمفتش الانيق، وعولت على استكناه حقيقته ومعرفة غاياته ومراميه .

فأجفل كوريو . وهم بالانقضاض على لوبين وصاح :

- اصغ الى يا هذا .. انك ..

فأسرع تيل وأوقفه مكانه قائلا :

- مهلا لحظة .. انى مشوق لمعرفة النهاية .. هل ارتكبت سرقة جواهر فاندروود يا لوبين ؟

فهز لوبين رأسه سلبا .. وتجلت فى عينيه القاهرتين المتسلطتين نظرة [illegible] .. ثم سأل بهدوء :

- لا أحسبك تعتقد اننى من هذا الطراز من الناس ياتيل كنت أعلم انه من المحتمل ان يكون فى استطاعتى اغتصاب الجواهر والفرار بها ، لان كوريو يريد ذلك منى .. ولكن ما أن يتحقق من سرقتى لها ، وذلك طبقا لخطته الموضوعة ، حتى يهب لمطاردتى ويستعيد الجواهر .. وقد جعلنى هذا الخاطر أعدل عن الاقدام على السرقة ..فاعلنت النبأ للفتاة وأنا أعلم مدى التضحية فى عملى هذا .. ولما سألتنى عن سبب عدولى ، انبأتها أننى جد مشغول .

وتنهد لوبين دلالة على الاسى .. ثم استطرد :

- فى استطاعتك ان تتكهن ببقية القصة يا تيل ..فقد جاءتنى الفتاة صباح اليوم .. وأعطتنى بطاقة لغرفةمعاطف محطة فكتوريا ، وطلبت منى أن أذهب لاحضار طرد صغير من هناك وموافاتها الى منزل معين فى بوند ستريت فوعدتها بالذهاب ، ولكنى لم أذهب ، فقد تكهنت سلفا بما سيحدث ان ذهبت . ومجمله أن الطرد الذى تنتظره الفتاة انما يحتوى على بعض - لا كل - مجموعة جواهر فاندروود ، فانه من المجازفة وضعها كلها داخل الصندوق خشية ان تحدثنى نفسى أثناء الطريق بفتحه ، والفرار بالغنيمة . ولعل بقية

مجموعة جواهر أوبنهايم موجودة هنا فى هذه اللحظة فقد دابت منذ دخولنا على فحص كل ما تشتمل عليه الغـرفة بعينى ، وأكبر ظنى أنى وفقت فى معرفة مكانها .. انظر الى هذا المقعد يا تيل . ألا تلاحظ أن (التنجيد) حديث العهد .. ومنظره يدل على أن صانعه « منجده » انما هو هاو وليس خبيرا بمثل هذه الشئون ؟

وتقدم لوبين من المقعد بخطى متمهلة فاعترض كوريو سبيله وشرر الغضب يتطاير من عينيه . وصاح مزمجرا :

- قف حيث أنت .. اذا كنت تبغى الفرار من وجـه العدالة باختراع قصة ملفقة .. !

فقال لوبين :

- دعنا نتأكد أولا من وجود الجواهر فى المقعد .. ثم تذكر اننى ركبت أمس آلة لاقطة للاصوات « ديكتافون » أسفل هذه المنضدة .. فلنر اذا كان لديها ما تقوله .

وحدج تيل مساعده بنظرة صارمة . فانكمش هذا فى مكانه .. بينما تقدم لوبين من المنضدة وأخرج من تحتهـا آلة التقاط الاصوات . واسطوانة ركبها فوق الآلة وأدارها .

وما أن نطقت الاسطوانة بأول كلمة ، حتى انتفض تيل . عرف فى الصوت صوت مساعده كوريو .

وفيما يلى الحديث الذى سجلته آلة التقاط الاصـوات على الاسطوانة :

« - هذا عمل باهر ياليو .. أراهن على أنها تساوى أكثر من المبلغ الذى ابتاعه بها أوبنهايم . »

فأجاب صوت آخر غير معروف لتيل :

« - يالجهنم .. كانت المهمة سهلة بسيطة . وجرت

الامور فى السبيل الذى رسمته لها من قبل .. ولكن كيف ستعمل على الصاق التهمة بالشاب الذى حدثتنى عنه ؟

« - ذلك أمر هين ميسور . فستحمله الفتاة على الذهاب الى محطة فكتوريا لاحضار طرد صغير هناك .. ثم تطالبـه بموافاتها فى مكان معين سأحدده لها .. اننى على تمـام الاهبة لاقتناصه . »

« - لا أحسبك ستجازف باعطائه كل المجموعة ؟ »

« - لا تكن أحمق .. ساضع منها فى الصندوق مايكفى لالصاق التهمة به ... فاذا ما قبض عليه أمكن وضع بقيتها فى مكان معين والعثور عليها » .

كادت عينا كوريو تبرزان من محجريهما .

وصرخ بجنون : هذه مكيدة مدبرة .. فقد عبأت هذه الاسطوانة أمس أثناء قيامى بدور تجريبى فى أحد الافلام .

فابتسم لوبين ابتسامة مؤدبة .. ثم مزق قماش المقعد ومد يده داخله وأخرج حقيبة جلدية صغيرة بها من الجواهر ما يعادل مائتى ألف من الجنيهات .

ثم غمغم بعطف :

- شد ما آمل ان تتمكن من تبرئة نفسك يا كوريو .

ونظر الى تيل نظرة ذات مغزى .. فتقـدم هـذا من مساعده ووضع يده على كتفه وقاده الى الخارج ..

((تمت))